القسم الثاني: النص المحقق

والعرب تضرب الأمثال لبيان ما خفي معناه ودقّ إيضاحُهُ. لَمَّا خفي سرُّ ولادة [١١/ب] عيسى من غير أبٍ -لأنه خالف المعروف- ضرب الله له المثل بآدم الذي استقرّ في الأذهان وعُلم أنه وُجد من غير أبٍ ولا أم، كذلك خلق عيسى بلا أب[(١)].

وقال الزمخشري[(٢)]: وقوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ آل عمران: ٥٩، جملة مفسرة لِمَا له شَبَّهَ[(٣)] عيسى بآدم، أي: أخلق آدم من تراب ولم يكن ثَمَّ أب ولا أم، فكذلك حال عيسى.

فإن قلتَ: كيف شَبَّهَ به وقد وُجد هو بغير أب ووجد آدم بغير أب ولا أم؟

قلتُ: هو مثيله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به، لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف، ولأنه شَبَّهَ به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة، وهما في ذلك نظيران، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب، فشبّه الغريب بالأغرب ليكون أقطعَ للخصم وأحسمَ لمادة شُبْهتِهِ إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه. انتهى[(٤)].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٤٥٩/٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٦٦٥/٢)، تفسير السمعاني (٣٢٦/١). وقد روى الطبري عن قتادة سبب ضرب هذا المثل حيث قال: ذُكر لنا أن سيديّ أهل نجران وأسقفهم السيد والعاقب لقيا نبي الله -ﷺ- فسألاه عن عيسى؟ فقالا: كل آدمي له أب، فما شأن عيسى لا أب له؟ فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية.

(٢) هو: محمود بن عمر الزمخشري، إمام في اللغة والنحو والأدب، وكان معتزلياً مجاهراً بذلك، وله في التفسير: (الكشاف)، توفي سنة (٥٣٨)هـ. ينظر: وفيات الأعيان (١٦٨/٥)، سير أعلام النبلاء (١٧/١٥). و(زمخشر): هي قرية من نواحي خوارزم. ينظر: معجم البلدان (١٦٥/٣).

(٣) قوله " لما له شبه" أي: للأمر الذي لأجله كان ذلك الشبه.

(٤) الكشاف (٣٩٤/١). وينظر: جامع البيان (٤٦٧/٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٤٥٩/٢)، تفسير السمعاني (٣٢٦/١)، تفسير الراغب (٦٠٠/١).

وعن بعض العلماء: أنه أُسِرَ بالروم فقال: لِمَ تعبدون عيسى؟ قالوا: لأنه لا أب له. قال: فآدم أولى لأنه لا أبوين له. قالوا: كان يحيي الموتى. قال: فحزقيل[(١)] أولى؛ لأن عيسى أحيا أربعة نفر، وأحيا حزقيل ثمانية آلاف. فقالوا: كان يبرئ الأكمه[(٢)] والأبرص[(٣)].

قال: فجرجيس[(٤)] أولى لأنه طُبِخَ وأُحْرِقَ ثم قام سالماً[(٥)].

وقد استخرج بعض أهل العلم أن بين عيسى وبين آدم المشاركة من خمسة عشر وجهاً[(٦)]:

الأول: في التكوين، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ آل عمران: ٥٩.

---

(١) هو: حزقيل بن بوذي -عليه السلام- أحد أنبياء بني إسرائيل، وهو الذي أصاب قومه الطاعون فخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم. ينظر: المعارف لابن قتيبة الدينوري (٥١/١)، البداية والنهاية (٢٧٩/٢).

(٢) الأكمه: الأعمى الذي لا يبصر فيتحيَّر ويتردد. ويقال: إنَّ الأكمه الذي تلده أمُّه أعمى. ينظر: لسان العرب مادة: (كمه) (٥٣٦/١٣).

(٣) البَرَصُ: داءٌ معروفٌ، نسأل اللَّهَ العافية منه ومن كلِّ داء، وهو بياضٌ يقع في الجسد. ينظر: لسان العرب مادة: (برص) (٥/٧).

(٤) جرجيس هو عبد صالح من أهل فلسطين، وكان في الفترة بعد المسيح -عليه السلام- وقد أدرك بعض الحواريين فأرسله إلى بعض ملوك الموصل، فدعاه إلى اللّه -عز وجل- فقتله، فأحياه اللّه وبعثه إليه ثانية، فقتله، فأحياه اللّه، فأمر بنشره ثالثة وإحراقه وإذرائه في دجلة، فأهلك اللّه عز وجل ذلك الملكَ وجميعَ أهل مملكته ممن اتبعه. ينظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري (٢٤/٢)، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣٣٥/١).

(٥) ينظر قصة جرجيس في المصادر السابقة. وهذا نص كلام الزمخشري في الكشاف (٣٩٥/١).

(٦) ذكرها باختصار أبو حيان في البحر المحيط (٥٠٠/٢).

الثاني: الخلق من العناصر الأربعة: الماء والتراب والهواء والنار، وهذه هي التي ركّب الله منها الدنيا[(١)]. وفي هذه المقالة نظر، إذ لم يذكر الله في آدم إلا أنه خلقه من تراب، من غير ذكر العناصر الأخرى[(٢)].

الثالث: المشاركة في العُبُودية، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ مريم: ٩٣، وقد نطق عيسى بذلك حيث قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ مريم: ٣٠.

الرابع: المشاركة في النبوة، وقد صرح عيسى بذلك في قوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ مريم: ٣٠، ونبوة آدم معلومة عند الناس كلهم.

الخامس: المشاركة في الامتحان، فإن آدم قد امتحن بإبليس وفتنته وإغوائه، وامتحن عيسى بأمر اليهود وما كادوه به، فصبرا جميعاً ونجاهما الله من كيد ما امتُحِنَا به، وإن كان قد نال آدمَ بعضُ شيء بالنسبة إلى الأمر الدنيوي، وأما / الأمر الديني [١٢/أ] فمعصومان من كيد الكائدين.

السادس: في أكلهما الطعام وشربهما الشراب.

السابع: المشاركة في الافتقار إلى الله تعالى.

الثامن: المشاركة في الصورة، كل منهما جسد ينمو بالغذاء، وهذا وصف منافٍ للإلهية.

التاسع: في رفع كل واحد منهما إلى السماء[(٣)].

العاشر: كون كل واحد منهما ينزل إلى الأرض بعد رفعه إليها.

---

(١) ذكره الرازي في التفسير الكبير (٨٣/٨).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٦٩/٢).

(٣) لم أقف في كتب السنن على دليل صحيح صريح على رفع آدم إلى السماء؛ وأما عيسى -عليه السلام- فقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ النساء: ١٥٨.

الحادي عشر: الإلهام[(١)]، لأن آدم حين عطس ألهم أن يقول: الحمد لله[(٢)]، فقالها، وحين خرج عيسى من بطن أمه ألهم أن يقول: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ مريم: ٣٠ الآية؛ فقالها.

الثاني عشر: العلم، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ البقرة:٣١، وقال في حق عيسى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ آل عمران:٤٨، الآية.

الثالث عشر: نفخ الروح، قال تعالى في حق آدم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ الحجر: ٢٩، وفي حق عيسى:﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ التحريم: ١٢.

الرابع عشر: المشاركة في الموت، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ آل عمران: ١٨٥، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الرحمن ٢٦، ولا خلاف أنهما نفسان، وأنهما على الأرض، وهذا منافٍ للإلهية.

الخامس عشر: اشتراكهما في أن وُجدا من غير أبٍ، وإن كان آدم يزيد عليه بعدم الأم أيضاً[(٣)].

وفي الآية دليل على أن التشبيه لا يقتضي العموم بين المشبَّه والمشبَّه به في جميع الصفات، بدليل أن آدم يزيد على عيسى بكونه ليس له أم[(٤)].

---

(١) الإلهام: أن يُلقي اللَّه في النَّفس أمراً يبعث المُلهَم على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخصُّ اللَّه به من يشاء من عباده. ينظر: لسان العرب مادة: (لهم) (١٢/٥٥٥).

(٢) روى البزار في مسنده (٨١٩٤) (١٥/١٧)، وابن حبان في صحيحه (٦١٦٤) (١٤/٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/٤٨٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**لما خلق الله آدم عطس فألهمه ربه أن قال: الحمد لله، فقال له ربه: يرحمك الله**» وحسّنه الشيخ الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان.

(٣) ينظر: الكشاف (١/٣٩٤)، البحر المحيط (٢/٥٠٠).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٤١)، التفسير الكبير (٨/٨٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٦٩).

فإذا قلتَ: زيد كعمرو، لا يلزم أن يكون زيد مثل عمرو في سائر صفاته، وإن كان بعض الناس قد زعم ذلك[(١)].

وقوله: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ خبر إنّ متعلق بمحذوف عند الجمهور إن قلنا إن الكاف حرف، وإن قيل بأنها اسم فهي الخبر[(٢)]. وفيها: ما قدمناه من اجتماع أداتي تشبيه، وتقدم جوابه. وقوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ معناه عند من يعلم حقيقة الأمر وكيف هو، أي هكذا هو حقيقة هذا الأمر الذي غاب عنكم ولم تطلعوا على كُنْهه[(٣)]. والعامل في هذا الظرف قال الشيخ[(٤)]: هو العامل في كاف التشبيه[(٥)]. انتهى.

يعني الاستقرار الذي تعلق به الجار والمجرور، وهذا على رأي الجمهور كما ذكرته لك، وأما من لا يرى أن لها متعلقاً فلا يجيز ذلك. ويظهر لي أنها متعلقة بمثل عيسى لما فيه من معنى الصفة أو المشابهة، أي إن صفته عند الله كصفة آدم[(٦)].

وقوله: ﴿مِن تُرَابٍ﴾ هذا هو الأصل، لأنه قد جاء في موضع آخر: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ص: ٧١، فهذا أول الحال فيه تراب، ثم صار طيناً، ثم فخاراً، ثم بشراً لحماً ودماً، فلا منافاة بين الآيات[(٧)].

/ وفي الجملة؛ من قوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ وجهان[(٨)]: [١٢/ب]

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٨٤/١).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٢٤١/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان (٤٦٧/٦)، المحرر الوجيز (٢٤١/٢)، تفسير الراغب (٦٠٠/١)، البحر المحيط (٥٠١/٢).

(٤) يعني بـ (الشيخ) شيخه أبا حيّـــان وهو: محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أثير الدين أبو حيان، النحوي، اللغوي، المفسر، من كتبه: "البحر المحيط" في التفسير، توفي سنة (٧٤٥)هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي ص (٣٨٧)، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (٦٧/٣).

(٥) البحر المحيط (٥٠١/٢).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٢٤٠/٢)، التفسير الكبير (٨٣/٨).

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٦٩/٢)، التفسير الكبير (٨٣/٨).

(٨) ينظر: تفسير البحر المحيط (٥٠١/٢).

أحدهما: أنها مستأنفة مفسرة للمثل كما قدمناه عن الزمخشري[(١)]، فلا محل لها حينئذٍ.

والثاني: أنها في موضع نصبٍ على الحالِ، والهاء في ﴿ خَلَقَهُۥ ﴾ تعود على آدم دون عيسى[(٢)].

وقال الواحدي[(٣)]: وهذا -يعني قوله: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾- ليس بصلة لآدم ولا صفة، لأن الصلة للمبهمات والصفة للنكرات، ولكنه خبر مستأنف على جهة التفسير لحال آدم[(٤)].

قال: قال الزجّاج[(٥)]: وهذا كما تقول في الكلام: "مثلك كمثل زيد" تريد أنك أنك تشبهه في فعل ثم تخبر بقصة زيد فتقول: فعل كذا وكذا[(٦)].

---

(١) ينظر: الكشاف (٤٣٣/١).

(٢) ينظر: الإملاء للعكبري ص (٨٠).

(٣) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صنف التفاسير الثلاثة: "البسيط"، و"الوسيط"، و"الوجيز" وغيرها، توفي سنة (٤٦٨)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٥٣/١٣)، طبقات الشافعية للسبكي (٢٤٠/٥).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢١٩/١)، الوسيط (٤٤٣/١). قال السمين الحلبي: وقد تعرض تعرض الواحدي لهذه المسألة فأتقنها، ثم ذكر قوله هذا. الدر المصون (٢١٩/٣). وقد سبق الواحدي الطبري حيث قال: فإن قال قائل: فكيف قال: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ ﴾ آل عمران: ٥٩، و (آدم) معرفة؛ والمعارف لا توصل؟ قيل: إن قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ آل عمران: ٥٩، ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ غير صلة لآدم، وإنما هو بيان عن أمره، على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه؛ وكيف كان. جامع البيان (٤٦٣/٥). وذكره الرازي أيضاً في التفسير الكبير (٨٣/٨).

(٥) هو: إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، أبو إسحاق الزجاج، نحوي زمانه مصنف كتاب: "معاني القرآن وإعرابه " مطبوع، وله تآليف جمة، توفي سنة (٣١١)هـ. ينظر: طبقات المفسرين للأدرني (٥٢/١)، بغية الوعاة (٤١١/١).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢٨٤/١).

وقال ابن عطية[١] نحواً منه، قال: ولا يكون ﴿خَلَقَهُۥ﴾ صلة لآدم ولا حالاً منه[٢].

قال الزجاج: إذ الماضي لا يكون حالاً أنت فيها، بل هو كلام مقطوع منه مضمَّنُه تفسير الشأن[٣]. قال الشيخ: وفيه نظر[٤].

ولم يبين وجه النظر. والظاهر من هذا النظر أن الاعتراض -وهو قوله: لا تكون حالاً أنت فيها- غير لازم، إذ تقدير قد معه يقربه من الحال فسوغ وقوع الماضي حالاً، على أن من الناس من لا يرى تقدير قد في الماضي الواقع حالاً كما قررناه غير مرة. وقد يكون الجواب عما قاله أيضاً من حيث المعنى كما فسّره الزمخشري بأن التقدير: قدّره جسداً من طين ثم قال له: كن، أي أنشأهُ بشراً[٥]. انتهى.

و﴿مِن تُرَابٍ﴾ آل عمران: ٥٩، فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق بـ ﴿خَلَقَهُۥ﴾ ومِنْ لابتداء الغاية، أي كان ابتداء خلقه من هذا الجنس، وقد قدمنا كيف كان ذلك؛ وهو أن عزرائيل[٦] قبض قبضة من الأرض -في قصة طويلة- فخلقه الله منها.

والثاني: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من هاء خَلَقَهُ، أي خلقه كائناً من تراب، وهو قريب من الأول[٧]. قوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ آل عمران: ٥٩، هذا عبارة عن

---

(١) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه عارف بالأحكام والحديث، له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، وتوفي سنة (٥٤٦)هـ، ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص (٦٠)، طبقات المفسرين للداوودي (٢٦٥/١).

(٢) المحرر الوجيز (٢٤١/٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢٨٤/١). وينظر: المحرر الوجيز (٢٤١/٢).

(٤) البحر المحيط (٥٠١/٢).

(٥) الكشاف (٣٩٥/١).

(٦) جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت باسم عزرائيل، ولا وجود لهذا الاسم في القرآن، ولا في الأحاديث الصحيحة. ينظر: عالم الملائكة الأبرار للأشقر ص (١٨).

(٧) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٧٦/٥)، الدر المصون (٨١٠/١).

سرعة الامتثال والإيجاد، وأن لا يتخلف شيء عن مراده إذا أرادَهُ[(١)]. وقال الزمخشري: ثم قال له كن أي أنشأه بشراً، كقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ المؤمنون: ١٤، فيكون حكاية حالٍ ماضية[(٢)].

قال الشيخ: قد سبقه إلى معناه أبو مسلم[(٣)][(٤)].

قلنا: ولو كان الخلق بمعنى الإنشاء لا بمعنى التقدير لم يأت بقوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ لأن ما خُلِقَ لا يقال له كن، ولا ينشأ، إلا إن كان معنى ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ عبارة عن نفخ الروح فيه، وقاله عبد الجبار[(٥)][(٦)]، فيمكن أن يكون خلقه بمعنى أنشأه لا بمعنى قدره.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٤٦٣/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٠/٢)، التفسير الكبير (٨٤/٨). وفيه إثبات أن الله تكلم بهذه الكلمة (كن) فكان كما أراد الله.

(٢) الكشاف (٤٣٣/١)، وينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٢/١).

(٣) هو: محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهر يزاد أبو مسلم الأصبهاني، الأديب المفسر النحوي المعتزلي، صنف التفسير في عشرين مجلدا، توفي سنة (٤٥٩)هـ. ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص (٩٨)، طبقات المفسرين للأدرني (١٢٣/١).

(٤) البحر المحيط (٤٧٨/٢). وينظر: تفسير الراغب (٦٠١/١) وذكره الرازي في التفسير الكبير (٨٤/٨). قال أبو مسلم: قد بينا أن الخلق هو التقدير والتسوية، ويرجع معناه إلى علم الله تعالى بكيفية وقوعه وإرادته إيقاعه على الوجه لمخصوص، وكل ذلك متقدم على وجود آدم -عليه السلام- تقديما من الأزل إلى الأبد، وأما قوله (كن) فهو عبارة عن إدخاله في الوجود فثبت أن خلق آدم متقدم على قوله (كن).

(٥) هو: أبو الحسن القاضي عبد الجبار بن أحمد بن الخليل الهمذاني الأسدأبادي، انتهت إليه رئاسة المعتزلة في عصره، ألف في أصولهم: (المغني) وشرح الأصول الخمسة وكانت وفاته سنة (٤١٥)هـ وقيل: (٤١٦)هـ وقد جاوز التسعين. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٢/١٣)، طبقات الشافعية للسبكي (٩٧/٥). ولم أقف على كلامه هذا رغم البحث عنه.

(٦) نقله عن القاضي عبد الجبار أبو حيان في البحر المحيط (٥٠٢/٢).

قيل: ويمكن أن تكون / ﴿كُن﴾ عبارةً عن كونه لحماً ودماً، ويكون قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ حكاية حالٍ ماضية، ولا قول هناك حقيقة، وإنما ذلك على سبيل التمثيل، وكناية عن سرعة الخلق والتمكن من إيجاد ما يريد تعالى إيجاده، إذ المعدوم لا يمكن أن يؤمر[(١)]، وأتى هنا بـ ﴿ثُمَّ﴾ لأنها للترتيب الزماني بالتراخي، فهي على بابها، لأنه تعالى خلقه من التراب فصار طيناً ومكث لذلك برهة، ثم بعد ذلك صيّره لحماً ودماً أو نفخ فيه الروح، حسبما فسرناه أولاً[(٢)]. [١٣/أ]

وقيل: بل هي للترتيب في الإخبار لا الزمان[(٣)]، والأول أَوْلَى؛ إذ ليس فيه إخراج اللفظ عن موضوعه[(٤)].

وقال الراغب[(٥)]: معنى ﴿كُن﴾ بعد خلقه من تراب: كن إنساناً حياً ناطقاً، وهو لم يكن كذلك، بل كان دهراً ملقى لا روح فيه، ثم جعل له الروح[(٦)] فهذا يدُلّك على ما ذكرته من الترتيب الزماني[(١)].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤٤٣/١)، المحرر الوجيز (٢٤١/٢)، التفسير الكبير (٨٤/٨). وفيه تأويل صفة الكلام وصرفها عن حقيقتها على ما يليق بجلاله، فقد اختار أهلُ السنة المتبعون لمنهج السلف الصالح أن القول على حقيقته، والأمر عام في كل ما قضاه الله، وهو للموجود في علمه تعالى، وتقديره؛ ليخرجه إلى الوجود العيني. ينظر: جامع البيان (٤٦٩/٢)، معالم التنـــزيل (٤٧/٢)، مجموع الفتاوى (٢١٩/٦).

(٢) ينظر: تفسير الراغب (٦٠١/١)، إملاء ما من به الرحمن (١٣٧/١).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٢٤١/٢).

(٤) ينظر: تفسير الراغب (٦٠١/١)، البحر المحيط (٥٠٢/٢)، التفسير الكبير (٨٤/٨).

(٥) هو: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، بالراغب، واشتهر حتى كان يُقرن بالإمام الغزالي، من كتبه: "المفردات في غريب القرآن"، توفي سنة (٥٠٢) هـ. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص (١٢٢)، بغية الوعاة (٣٩٦/١).

(٦) يشير الراغب إلى خبر ابن عباس -رضي الله عنه- الطويل في بدء الخليقة، وهو ما رواه الطبري في جامع البيان (٤٥٥/١) بسنده عنه وفيه: "فقال الله للملائكة الذين معه إني جاعل في الأرض خليفة" فقالت الملائكة مجيبين له: "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، وإنما بعثنا عليهم لذلك !! فقال: ...." الخ. وذكر ابن كثير في تفسيره (٧/١) هذا الخبر من رواية الطبري وقال: وهذا الإسناد إلى ابن عباس يُروى به تفسير مشهور.

قال: وقوله: ﴿كُن﴾ عبارة عن إيجاد الصورة التي صار بها الإنسان إنساناً[٢].

والهاء في ﴿لَهُۥ﴾ الظاهر أنها لآدم كما في ﴿خَلَقَهُۥ﴾[٣].

وقيل: تَعُود على عيسى[٤]. وأبعدُ من ذلك ما ذهب إليه الحُوفِيُّ[٥] من أنها تعود على كل مخلوق خلق بكن[٦].

وقوله: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ تثبيت لكل من سمع هذه القصة الغريبة، وهو أن وُجد ولد من غير فَحْلٍ، أي: هذا الذي تلي عليك من قصة عيسى الحق الصرف؛ لأنه واردٌ من جهةٍ من لا يكون عنده إلا الحق[٧]. ويجوز أن يُراد بالحق جميع ما تقدم من قصة زكريا ومريم وعيسى وآدم، أي جميع ما تلوناه عليك من تلك القصص حق لا شك فيه، صادر من جهة ربك المتكفل بمصالحك القائم بأمورك. ويجوز في ﴿ٱلْحَقُّ﴾ أن يكون مبتدأ وخبره الجار بعده[٨].

==

(١) تفسير الراغب (١/٦٠١). وينظر: الإملاء (١/١٣٧).

(٢) تفسير الراغب (١/٦٠٢). وينظر: الوسيط (١/٤٤٣)، الكشاف (١/٣٩٥)، البحر المحيط (٢/٥٠٢).

(٣) ينظر: تفسير الراغب (١/٦٠١)، الوسيط (١/٤٤٣)، زاد المسير (١/٢٨٨)، الكشاف (١/٣٦٨)، التفسير الكبير (٨/٨٤).

(٤) ينظر: زاد المسير (١/٢٨٨)، وذكر الرازي القولين في التفسير الكبير (٨/٨٤).

(٥) هو: علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي، أبو الحسن، نحوي من العلماء باللُّغة والتَّفسير من أهل الحوف بمصر، له: (البرهان في تفسير القرآن)، و(الموضح) في النحو، و(مختصر كتاب العين)، توفي عام (٤٣٠) هـ. ينظر: بغية الوعاة (٢/١٤٠)، إنباه الرواة (٢/٢١٩).

(٦) ينظر: روح المعاني (٣/١٨٧).

(٧) ينظر: جامع البيان (٥/٤٦٤). فقد رواه عن قتادة والربيع وجعفر بن الزبير.

(٨) أي: (مبتدأ وخبره: من ربك) وهذا اختيار ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/١١٠). وينظر: معاني القرآن للفراء (١/٢٢٠)، إعراب القرآن للنحاس (١/١٦)، تفسير الراغب (١/٦٠٣)، الكشاف (١/٣٩٥)، التفسير الكبير (٨/٨٤)، البحر المحيط (٢/٥٠٢).

ويراد بالحق ما قدمناه من القصة أو القصص، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف يراد به قصة عيسى[(١)]، أي: هو الحق، أي: خبر عيسى في كونه من أم فقط الحق، و﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ إما [خبر][(٢)] ثانٍ وإما حال[(٣)].

قوله: ﴿ فَلَا تَكُن ﴾ لما أخبر بحقِّية ذلك، وأنه صادر من جهة الرب تعالى، ترتب على ذلك أن نهى المخاطَبَ عن الامتراء أو الشك، افتعال من المرية وهي الشك[(٤)].

والظاهر أن المخاطب بذلك من يُتَصَوَّرُ منه ذلك من الناس غير الرسول -عليه السلام-، لأنه لم يكن ممترياً البتة[(٥)]، ولا يقع منه ذلك في مستقبل زمانه لأنه معصوم، ومثله: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ الزمر: ٦٥، وهو أحسن الوجوه[(٦)].

---

(١) هذا اختيار الفراء في معاني القرآن (٨٥/١)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢٨٤/١). وينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٢/١)، تفسير الراغب (٦٠٣/١)، التفسير الكبير (٨٤/٨).

(٢) طمس في المخطوط، استدركته من «الدر المصون» للمصنف (٢٢٣/٣).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٧٠/٢)، البحر المحيط (٥٠٢/٢).

(٤) ذكر هذا المعنى الطبري في جامع البيان (٤٦٤/٥) عن جعفر بن الزبير. وينظر: تفسير ابن المنذر (٢٢٦/١)، مجاز القرآن (٩٥/١)، تفسير الراغب (٦٠٤/١)، المحرر الوجيز (٢٤١/٢)، التفسير الكبير (٨٤/٨).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٥/١)، زاد المسير (٣٣٨/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٠/٢)، التفسير الكبير (٨٤/٨).

(٦) على هذا القول لا يكون الخطاب للنبي -ﷺ- بل يكون عاماً لكل مخاطب، ويكون المعنى: المعنى: الحق من ربك فلا تشك أيها المخاطب العاقل في هذا الأمر، وقال الراغب في تفسيره (٦٠٤/١): وإن كان خطاباً للنبي -ﷺ- فالمقصد به عام، وقال في البحر المحيط (٥٠٢/٢): الخطاب بهذا لكل سامع. وذكر نحوه النحاس في معاني القرآن (٤١٣/١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٤١/٢)، والرازي في التفسير الكبير (٨٦/٨).

وقال الزمخشري: ونهيه عن الامتراء -وجَلَّ رسول الله أن يكون ممترياً- من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة، وأن / يكون لطفاً بغيره[١]. [١٣/ب]

وقال الراغب: الامتراء استخراج الرأي للشك العارض، ويجعل عبارة عن الشك، وقال: ﴿فَلَا تَكُنْ مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ آل عمران: ٦٠، ولم يكن ممترياً ليكون فيه ذم من شك في عيسى[٢]. وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أبلغ من ممترياً لو قيل، ونحوه ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ التحريم ١٢، شهادة له بأنه في زمرة من هذه صفته[٣].

ولم نقرأه إلا برفع فيكون، بخلاف ما تقدم في قوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، وقد تقدم ذلك.

● قوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ آل عمران: ٦١.

هذه آية المباهلة[٤]، وهي من أدل الآيات على صدق رسوله وصحة نبوته، حيث دعا النصارى إلى المباهلة فأبوا؛ لعلمهم أن ما قاله حق وصدق[٥].

---

(١) الكشاف (٣٩٥/١). قال الطيبي في حاشيته على الكشاف (١٣٥/١): وفي هذا الأسلوب فائدتان إحداهما: أنه صلوات الله عليه إذا سمع مثل هذا الخطاب تحرك منه الأريحية فيزيد في الثبات على اليقين. وثانيهما: أن السامع ينتبه لهذا الخطاب الفظيع على أمر عظيم فيتزجر عما يورث الامتراء لأنه صلوات الله عليه وسلم بجلالته إذا خوطب بمثله فما يظن بغيره، وإلى هذين المعنيين الإشارة بقوله: لزيادة الثبات والطمأنينة، وأن يكون لطفاً لغيره.

(٢) تفسير الراغب (٦٠٣/١). وينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٥/١)، معاني القرآن للنحاس (٤١٣/١)، المفردات ص (٤٦٩) مادة: (مرى)، البحر المحيط (٥٠٢/٢).

(٣) تفسير الراغب (٦٠٣/١)، المحرر الوجيز (٢٤١/٢)، البحر المحيط (٥٠٢/٢).

(٤) المباهلة هي: الملاعنة، وباهل القومُ بعضُهم بعضاً و تباهلوا و ابتهلوا: تلاعنوا ويقال: باهلت فلاناً أي لاعنته، ومعنى المباهلة: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنَة الله على الظالم منا. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٦٧/١)، لسان العرب (٧١/١١). وقال الراغب في تفسيره (٦٠٤/١): "وأصل البهل: ترك الشيء غير مراعى".

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٧١/٢). قال الرازي: "ووجه ذلك: إن القوم لما تركوا مباهلته؛ فلولا أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما يدل على نبوته، وإلا لما أحجموا عن مباهلته". التفسير الكبير (٨٦/٨).

وذلك أن نصارى نجران لما جادلوا رسول الله ﷺ في أمر عيسى وقالوا: بسم صاحبنا كما تقدم، دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة ليظهر الحق لهم ولغيرهم، وكان -عليه السلام- حريصاً على إيمان الناس، فرُوي أنه لما دعاهم إلى ذلك قالوا: حتى نرجع وننظر، فلما تخالَوا قالوا للعاقب[(١)]؛ وكان ذا رأيهم[(٢)]: يا عبد المسيح[(٣)]؛ ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم[(٤)]، والله ما باهل [قوم][(٥)] نبياً قط فعاش[(٦)] كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لنهلكن، فإن أبيتم إلا إِلْفَ دينكم والإقامة على ما أنتم عليه؛ فوادعوا[(٧)] الرجل وانصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا

---

(١) هو السيد من رؤسائهم، وأصحاب مراتبهم، والعاقب يتلو السيد. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٦٨/٣)، مادة: (عقب).

(٢) صاحب الرأي والتدبير فيهم الذي يستشار فيما يعرف من أمور هامة لعقله وحسن رأيه.

(٣) هو: عبد المسيح النجراني، رجل من كندة، قدم المدينة على رأس وفد من أهل نجران، فقابل الرسول -ﷺ- وتحدث معه، فكان أمير القوم، وذا رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذين لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٥٧/١)، الإصابة في تمييز الصحابة (١٩٦/٣).

(٤) قال ابن عطية: وما روى الرواة من أنهم تركوا الملاعنة لعلمهم بنبوته أحج لنا على سائر الكفرة، وأليق بحال محمد -ﷺ-. المحرر الوجيز (٢٤٤/٢).

(٥) سقطت من المخطوط، واستدركتها من تفسير الزمخشري (٣٩٦/١) وهو كذا فيما وقفت وقفت عليه من التفاسير، وفي الدلائل لأبي نعيم (٢٨٤/١) (لاعن قوم).

(٦) في المخطوط: إلا فعاش، والصواب حذف «إلا» كما في تفسير الزمخشري (٣٦٨/١).

(٧) من الموادعة: المتاركة، أي: يدع كل واحد منهما ما هو فيه. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٦٦/٥). مادة: (ودع).

محتضناً الحسين[١] آخذاً بيد الحسن[٢]، وفاطمة[٣] تمشي خلفه، وعليٌّ خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنُوا.

فقال أَسْقُفُ[٤] نجران: يا معشر النصارى؛ إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيٌّ إلى يوم القيامة. فقالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك، وأن نقرك على
[١٤/أ] دينك ونثبت / على ديننا. قال: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم. فأبوا. قال: (فإني أنجازكم[٥]). فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حُلَّة[٦]، ألف في صفر، وألف في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد. فصالحهم على ذلك.

---

(١) هو: الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، بويع بالخلافة بعد موت معاوية، وانخذل عنه أنصاره، فقتل -رضي الله عنه- سنة (٦١)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٢٠/١٧)، الإصابة (٦٧/٢).

(٢) هو: الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، صدق فيه قول النبي -صلى الله عليه وسلم- "إن ابني هذا سيد" مات مسموماً سنة (٤٩)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٦/٤)، الإصابة (٦٠/٢).

(٣) هي: فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، سيدة نساء العالمين، تلقب بالزهراء، تزوجها علي بن بن أبي طالب بعد معركة أحد، وقيل: غير ذلك، توفيت بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بستة أشهر، وقيل غير ذلك. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤١٥/٣)، الإصابة (٢٦٢/٨).

(٤) الأسقف: رئيس النصارى في الدين، أعجمي تكلمت به العرب، والجمع أساقف وأساقفة. وأساقفة. ينظر: لسان العرب (١٥٥/٩) مادة (سقف)، النهاية (٣٧٩/٢).

(٥) المناجزة في الحرب: المبارزة والمقاتلة، وفي المثل: المحاجزة قبل المناجزة. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٨٩٨/٣) مادة: (نجز)، لسان العرب (٤١٤/٥) مادة: (نجز).

(٦) الحُلَّة: رداء وقميصٌ وتمامُها العمامة، ولا يزالُ الثَّوب الجيِّد الجديد الذي تلبسه يقال له في الثِّياب حُلَّة. لسان العرب مادة: (حلل) (١٧٢/١١).

وقال: «والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم[(١)] عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولَمَا حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا»[(٢)]. وعن عائشة -رضي الله عنها-: أن رسول الله ﷺ خرج وعليه مِرْط[(٣)] مُرَحَّل[(٤)] من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة، ثم عليّ، ثم

---

(١) اضطرم: أي: التهب واشتعل. ينظر: مختار الصحاح ص (١٨٤) مادة: (ض ر م).

(٢) أورد قصة المباهلة هذه الطبري في جامع البيان (٤٦٩/٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٢٦/٧) من طريق جرير به مختصراً، وأخرجها سعيد بن منصور في سننه (١٠٤٥/٣) رقم: (٥٠٠-تفسير)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٦٦٧/٢) عن الربيع والشعبي والحسن والسدي مرفوعاً، ورواها أبو نعيم في دلائل النبوة ص (٣٥٤)، وأوردها البيهقي في دلائل النبوة (٣٨٥/٥) من حديث سلمة ابن يشوع عن أبيه عن جده. وهذه الطريق ذكرها ابن كثير في تفسيره (٥٢/٢) عن البيهقي به، ثم قال: "ولنذكره فإن فيه فوائد كثيرة، وفيه غرابة، وفيه مناسبة لهذا المقام". قال ابن حجر في الكاف الشافي ص (٢٦): (أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بطوله، وابن مروان متروك متهم بالكذب، ثم أخرج أبو نعيم نحوه عن الشعبي مرسلاً، ورواه الطبري من طريق أبي إسحاق ... فذكره مرسلاً). وحديث الملاعنة لوفد نجران دون ذكر سبب النزول ثبت من طريق أخرى منها: ما رواه البخاري في كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران (٩٣/٨) برقم (٤٣٨٠)، ومنها ما رواه الحاكم في المستدرك (٥٩٤/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. قال الرازي في التفسير الكبير (٨٩/٨): واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث.

(٣) المِـــرط: جمعه مروط وهو: كساء من خز أو صوف أو كتان يؤتزر به، وتتلفع به المرأة، وقيل: هو الثوب الأَخضر.والمِرْط كل ثوب غير مخيط. ينظر: النهاية في غريب الحديث (٣١٩/٤).

(٤) المُـــرَحَّل -بالهاء المهملة- هو: الموشى وشياً كالرحال، أو الذي قد نُقش فيه تصاوير الرِّحال. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢١٠/٢).

قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣[(١)]. نقل ذلك الزمخشري[(٢)].

وأصل ذلك ثابت في صحيح مسلم[(٣)] من حديث سعد بن أبي وقاص[(٤)] قال: لما أنزل الله هذه الآية دعا رسول الله ﷺ[(٥)] حسناً وحسيناً وفاطمة وقال: (**اللهم هؤلاء أهل بيتي**)[(٦)].

قلت: وهؤلاء الأربعة هم أهل العباءة، وهم ورسول الله ﷺ الخمسة الأشياخ نسأل الله الكريم رؤياهم في الجنة. و«مَنْ» ظاهرها العموم، في: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾. أي: حاجك بحجة فيما يرى ويزعم. وجادلك من سائر الناس[(٧)]. وقيل: المراد بها نصارى نجران لأن الحديث معهم والسياق يخصصهم[(٨)]. و﴿فِيهِ﴾ الظاهر عود

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ) برقم (٢٤٢٤)، ص (١٠١٤).

(٢) الكشاف (٣٩٦/١). وذكره الرازي في التفسير الكبير (٨٩/٨).

(٣) هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح، تجاوزت مؤلفاته أكثر من عشرين مُؤلَّفاً، توفي بنيسابور سنة (٢٦١)هـ. ينظر: وفيات الأعيان (١٩٤/٥)، سير أعلام النبلاء (٦٠٤/١٧).

(٤) هو: سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف القرشي، أحد العشرة، وأحد السابقين الاولين، وأحد من شهد بدرا والحديبية، توفي -رضي الله عنه- سنة (٥٥)هـ. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٦٠٦/٢)، سير أعلام النبلاء (٦٦/٣).

(٥) سقط ذكر علي ولا بد منه.

(٦) رواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٤٠٤) (٢٤٠٤) ص (١٠٠٦). بلفظ: «دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلي».

(٧) ينظر: المحرر الوجيز (٢٤١/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٠/٢).

(٨) ينظر: جامع البيان (٤٦٥/٥)، وذكر ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٦٦٨/٢) بإسناده عن ابن جريج قال: قال لي ابن كثير -عبد الله-: أما الذين دعوا إلى الابتهال فالنصارى، وقال الماوردي: والذين دعاهم النبي -ﷺ- هم نصارى نجران. وينظر: تفسير ابن المنذر (٢٢٨/١)، النكت والعيون (٣٩٨/١)، معالم التنـــزيل (٤٥٠/١)، زاد المسير (٢٨٨/١).

الضمير على عيسى[(١)]، أي: في حديثه وأمره، لأن السياق له. وقيل: الضمير للحق[(٢)]. و﴿ مِنۢ ﴾ يجوز أن تكون الشرطية، أو الموصولة[(٣)]، ودخلت الفاء في الخبر الخبر إجراء للموصول مجرى الشرط لتوفر الشروط التي ذكرناها غير مرة[(٤)]. و﴿ مِنۢ بَعۡدِ ﴾ متعلق بحاجّك[(٥)].

و﴿ مَا ﴾ موصولة اسمية وعائدها هو الفاعل بجاءك، والتقدير: من بعد الذي جاءك. وجوّز بعضهم[(٦)] أن تكون ما مصدرية.

و﴿ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ فاعل لجاء على أن ﴿ مِنَ ﴾ مزيدة على رأي الأخفش[(٧)]،/ أي: من بعد مجيء العلم إليك[(٨)]. وعلى الأول يجوز في «من» وجهان[(٩)]: [١٤/ب]

---

(١) هذا قول قتادة، ومحمد بن جعفر بن الزبير، والربيع. ينظر: جامع البيان (٤٦٥/٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٦٦٦/٢)، تفسير ابن المنذر (٢٢٨/١)، معاني القرآن وإعرابه (٢٨٥/١)، النكت والعيون (٣٩٨/١)، المحرر الوجيز (٢٤١/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٠/٢)، التفسير الكبير (٨٩/٨).

(٢) قال الطبري: "وجائزة أن تكون عائدة على الحق". جامع البيان (٤٦٥/٥). وينظر: النكت النكت والعيون (٣٩٨/١)، تفسير السمعاني (٣٢٧/١)، المحرر الوجيز (٢٤١/٢)، زاد المسير (٥٩٧) التفسير الكبير (٨٩/٨). قال الراغب في تفسيره (٦٠٦/١): وكلا القولين واحد في التحقيق، لأن كليهما في أمر عيسى؛ والآية نزلت في نصارى نجران؛ إذ عارضوا النبي -ﷺ- في أمر عيسى -عليه السلام-.

(٣) ينظر: الإملاء (١٣٧/١)، الدر المصون (٢٢٣/٣).

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٢/١).

(٥) قال الطبري: أي: من بعد ما جاءك من العلم الذي قد بينته لك في عيسى أنه عبد الله. جامع البيان (٤٦٥/٥)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٧٠/٢).

(٦) كالعكبري في الإملاء (١٣٨/١).

(٧) هو: سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط، أخذ عن الخليل بن أحمد وسيبويه، توفي سنة (٢١٥)هـ تقريباً. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٣٩/٨)، شذرات الذهب لابن العماد (٧٣/٣).

(٨) ينظر: معاني القرآن للأخفش (٩٨/١).

(٩) ينظر: البحر المحيط (٥٠٢/٢).

أحدهما: أنها للتبعيض، وهذا هو الظاهر.

والثاني: أنها لبيان الجنس، بيّن الذي جاءه أنه من العلم.

و﴿ **تَعَالَوْاْ** ﴾ أي: احضروا. قال الزمخشري: هلموا[(١)]، والمراد: المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعال نفكر في هذه المسألة[(٢)].

قلت: واشتقاق هذه اللفظة من العلو، قالوا: أصله طلب الإقبال من مكان مرتفع، تفاؤلاً بذلك، وإدناءً للمدعو؛ لأنه من العلو والرفعة، ثم تُوُسِّع فيه حتى استعمل في مجرد طلب المجيء، حتى إنهم قالوا ذلك لمن يقصدون إهانته، كقولهم للعدو: تعال، ولمن لا يعقل: تعال[(٣)]. وقيل: هو طلب الإقبال على من هو في مكان مرتفع. كأن قال: ارتفع إليَّ واعْلُ، ثم تُوُسِّعَ فيه حتى قيل ذلك لمن هو في مكان مستعلٍ[(٤)]. وهذه اللفظة فعل صريح لا اسم فعل؛ لاتصالها بضمائر الرفع البارزة.

وقراءة العامة[(٥)]: ﴿ **تَعَالَوْاْ** ﴾ بفتح اللام[(٦)]؛ لأنه أمر من تعالى يتعالى تعالياً، كترامى يترامى ترامياً، وأصل الألف ياء، أصل الياء الواو؛ لأنه من العلو كما قررناه

---

(١) الكشاف (٣٩٥/١).

(٢) ينظر: جامع البيان (٤٦٥/٥).

(٣) ينظر: جامع البيان (٤٧٦/٥)، واختاره الراغب في تفسيره (٦٠٥/١)، والرازي في التفسير التفسير الكبير (٨٩/٨). وينظر أيضاً: المفردات ص (٥٨٤)، المحرر الوجيز (٢٤٢/٢)، زاد المسير (٢٨٩/١)، الدر المصون (٢٢٦/٣).

(٤) جامع البيان (٤٧٦/٥)، تفسير الراغب (٦٠٥/١)، المفردات ص (٢٤٩)، المقاييس (١١٨/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٠/٢)، روح المعاني (١٨٧/٣).

(٥) يعني بالعامة: عامة القراء وجلهم إذ اجتماع القراء المعتبرين على حرف له من القوة ما ليس ليس لغيره مما انفرد به آحاد الناس. قال أبو شامة المقدسي: إذا قالوا: قراءة العامة، فإنما يريدون ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة. فهو عندهم سبب قوي يوجب الاختيار. وربما اختاروا ما اجتمع عليه أهل الحرمين، وسموه أيضا بالعامة". ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٧١/٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٩/٦)، معجم مصطلحات علم القراءات ص (٢٤٩).

(٦) قراءة متواترة: ينظر: تفسير البحر المحيط (٥٠٢/٢).

غير أن الواو متى وقعت رابعة فصاعداً وجب قلبها ياء، فالأصل تعالَوَ ثم تعالَيَ، فتحرك حرف العلة وهو الياء إلى أصلها الواو وانفتح ما قبله فقُلب ألفاً فصار تعالَيَ كما ترى في مضارعه يتعالى. فإذا أمرت منه حذفت حرف المضارعة وحذفت لامه دِلالة على المجزوم، فبقي: تعالَ كما ترى، فإذا أمرتَ جماعة الذكور قلت: تعالَوا، بفتح اللام، لأنك لما حذفت الألف لأجل الأمر أبقيت الفتحة مشعرة بها.

هذا وجه؛ وإن شئت قلت: الأصل «تعاليُوا» وأصل هذه الياء واو كما قررناه، ثم استثقلت الضمة على الياء فحُذِفَتْ ضمتُها فالتقى ساكنان، فحُذف أولهما وهو [الياء لالتقاء الساكنين، وتُركت الفتحة على حالها. وإن شئت قلت: لما كان الأصل: «تعالَيُوا» تحرّك حرف العلة وانفتح ما قبله وهو الياء، فقُلب ألفاً، فالتقى ساكنان، فحُذِف أولهما وهو][(١)] الألف وبقيت الفتحة دالةً عليه[(٢)].

والفرق بين هذا وبين الوجه [الأول][(٣)] أن الألف في الوجه الأول حذفت لأجل الأمر، وإن لم تتصل به واو ضمير، وفي هذا حُذفت لالتقائها مع واو الضمير. وكذلك إذا / أمرتَ الواحدة قلتَ لها: تعالَيْ، فهذه الياء هي ياء الفاعلة من جملة الضمائر، وتصريفه على ما قدمناه، إلا أن الحركة هنا كسرة، وفيما تقدم ضمة. [١٥/أ]

أما إذا أمرت المثنى -مذكراً كان أو مؤنثاً- قلتَ: تعاليا يا زيدان أو يا هندان، وأمر جماعة الإناث: تعالَيْنَ، كقوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾ الأحزاب: ٢٨، فهذه الياء في التثنية وجمع الإناث هي لام الكلمة المنقلبة عن الواو، بخلاف الياء في تعالَيْ يا هند فإنها ضمير كما تقرر، إذ لا مقتضى لحذف هذه الياء.

---

(١) سقط من المخطوط، واستدركته من «الدر المصون» للمصنف (٣/٢٢٤) وبه يستقيم الكلام.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٢/٥٠٢).

(٣) سقط من المخطوط، واستدركته من «الدر المصون» للمصنف (٣/٢٢٤) وبه يستقيم الكلام.

وقرأ: الحسن[(١)]، وأبو واقد[(٢)]، وأبو السَّمَّال[(٣)] «تعالُوا» بضم اللام[(٤)]، ووجّهها التصريفيون على أن الأصل «تعاليُوا» كما تقدم، فاستثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى اللام بعد سلب حركتها.

قال الزمخشري: وعلى هذه القراءة[(٥)]، قال الحَمْداني[(٦)]:

..... **تعالَي أقاسِمْك الهمومَ**

بكسر اللام. ذكر ذلك في سورة النساء. وعاب عليه الشيخ[(٧)] باستشهاده بقول رجل مولَّد متأخر من بني حمدان أقارب سيف الدولة، وفيهم جماعة شعراء

---

(١) هو: الحسن بن أبي الحسن، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت، سيد أهل زمانه علماً، وعملاً، وشيخ أهل البصرة، توفي سنة (١٢٠)هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٦٩/٢)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي ص (٣٦).

(٢) هو: الحارث بن عوف بن أسيد بن جابر أبو واقد الليثي، توفي سنة (٦٨)هـ. ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٧٥٧/٢)، أسد الغابة لابن الأثير (٢١٦/١)، سير أعلام النبلاء (٥٧٤/٢).

(٣) هو قَــعْنَب بن أبي قَــعْنَب العدوي (أبو السَّمَّال) البصري المقرئ، وله اختيار في القراءة شاذ عن العامة، ولا يُعلم متى توفي. إلا أنه كان معاصراً للكسائي. ينظر: طبقات القراء (١٩٣/١)، غاية النهاية (٢٦/٢).

(٤) ينظر: القراءات الشاذة لابن خالويه ص (٤١)، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري (٣٢٣/١)، البحر المحيط (٥٠٢/٢). ووجههم أن أصله : تعاليوا، كما تقول : تجادلوا، نقل الضمة من الياء إلى اللام بعد حذف فتحتها، فبقيت الياء ساكنة وواو الضمير ساكنة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وهذا تعليل شذوذ .

(٥) ينظر: الكشاف (٥٣٦/١) عند تفسير الآية (٦١) من سورة النساء.

(٦) هو: أبو فراس، الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني، ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة، قتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أسرته في سنة (٣٥٧)هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٥٨/٢)، شذرات الذهب (٢٤/٣).

(٧) ينظر: البحر المحيط (٥٠٢/٢).

مُفلقون[(١)]. وهذا ليس بشيء لأنه ذكره استئناساً لا استشهاداً، وقد تقدم لنا مثل هذا في البقرة حين أنشد لأبي تمام[(٢)]:

هما أظلما حَاليّ[(٣)] ....

وتقدم هناك أنه هو اعترف بذلك وأنه إنما ذكره استئناساً أو نحو ذلك، فعليك بالالتفات إليه[(٤)].

والذي ينبغي أن يقال في توجيه هذه القراءة؛ أنهم تناسوا الحرف المحذوف حتى كأنهم توهَّمُوا أن الكلمة بنيت على ذلك، وأن اللام هي الآخر حقيقة، فضُمَّت قبل واو الضمير، وكُسرت قبل يائه، كما يُفعل بالحرف الأخير حقيقةً، ويدل على صحة ما قلتُه قولهم: «لم أُبَلَهْ» أن أصله «أبالي» لأنه مضارع بَالى، فلما دخل الجازم حذفوا له حرف العلة، ثم تناسوا ذلك الحرفَ المحذوف حتى كأنه لم يكن، فسكنوا اللام للجازم، كأنها صارت كالباقي لم تصرَّف، فالتقى حينئذ ساكنان، الألف قبلها واللام، فحُذفت الألف لالتقائهما / فصار: لم أُبَلْ، ثم ألحقوا هاء السكت فقالوا: «لم أُبَلَهْ» كما ترى، فليكن هذا مثله، وهو أولى؛ لأنه يعم هذه القراءة والبيت المذكور. [١٥/ب]

وعلى ما تقدم[(٥)] يقال: الأصل في البيت: تعالِيَي[(٦)]، مثل: تصاريبي يا هند، فاستثقلت الكسرة على الياء فنقلت إلى اللام بعد سلب حركتها، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين.

---

(١) الفلـــق: الشقُّ، يقال: أفلق الشاعر: أتى بما يعجب في شعره فهو مفلق. ينظر: المخصص - لابن سيده (٢٧/٤)، القاموس المحيط (١١٨٦/١).

(٢) هو: حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي، كان نصرانيا فأسلم. مدح الخلفاء والكبراء. وشعره في الذروة، عذب العبارة. مات سنة (٢٣١)هـ. ينظر: طبقات الشعراء ص (٢٨٣)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص (١٠٦).

(٣) صدر بيت لأبي تمام في ديوانه (٦٩/١) قال فيه:

هما أَظْلما حالَيَّ ثُمَّتَ أَجْلَيَا ظَلامَيْهِما عن وجهِ أَمْرَدَ أَشْيَبِ

(٤) ينظر: الدر المصون (٢٢٥/٣).

(٥) يقصد التعليل السابق الذي ذكره، وينظر البحر المحيط (٤٧٩/١) دون أن ينص على النقل منه.

(٦) الياء الأولى ياء الفعل كُسرت لوجود الياء بعدها، والياء الثانية ياء المؤنثة المخاطبة.

﴿ نَدْعُ ﴾ جواب تعالوا[(١)]، أي: نطلب، أبناءنا أي: أولادنا. والتقدير: يدع كلٌّ مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة[(٢)].

قال الرازي[(٣)]: وفي الآية دليل على أن الحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ[(٤)].

قال أحمد بن علان[(٥)]: كانا إذ ذاك مكلفين. لأن المباهلة لا تصح عنده إلا من مكلف[(٦)]. واختلف الناس؛ هل كانت هذه المباهلة خاصة به -عليه السلام- وبأهله أم تتعلق به وبالمؤمنين أجمعين الذين كانوا في عصره -عليه السلام-؟ فذهب الشعبي[(٧)] إلى

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٢/١).

(٢) ينظر: جامع البيان (٤٧١/٥)، تفسير القرآن للسمعاني (٣٢٨/١)، الكشاف (٣٩٥/١).

(٣) الرازي هو: أحمد بن علي الرازي، المعروف بالجصاص نسبةً إلى عمله بالجصِّ، إمام الحنفية في عصره انتهت إليه رئاسة المذهب، من مصنفاته: "أحكام القرآن"، مات سنة (٣٧٠)هـ. ينظر: الجواهر المضيئة (٢٢٠/١)،شذرات الذهب (٣٧٧/٤).

(٤) التفسير الكبير (٨٩/٨)، واستدل الرازي بقوله تعالى: "ومن ذريته داود وسليمان.... إلى قوله تعالى: "ويحيى وعيسى" ومعلوم أن عيسى -عليه السلام- إنما انتسب إلى إبراهيم -عليه السلام- بالأم لا بالأب، فثبت أن ابن البنت قد يسمى ابناً، والله أعلم.اهـ. وينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٩٦/٢)، أحكام القرآن لابن العربي (٣٧٦/١)، واستدل له ابن العربي بحديث: "إن ابني هذا سيد" أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي للحسن بن علي..." رقم (٢٧٠٤).

(٥) هو: أحمـــد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن علان الواسطي، شيخ القراء بدمشق في وقته، وقته، وصنف كتباً في القراءات منها "التلخيص في قراءة بن عامر"، توفي سنة (٣٩٣)هـ. ينظر: طبقات القراء (٣٨٢/١)، غاية النهاية (٩٤/١).

(٦) ينظر: البحر المحيط (٥٠٣/٢).

(٧) هو: عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي الحميري، من التابعين، يضرب المثل بحفظه وهو من رجال الحديث الثقات، كان فقيهاً شاعراً. مات سنة (١٠٤)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٤/٤)، وفيات الأعيان (١٢/٣).

الأول، وفسّر الأبناء بالحسن والحسين[(١)]، والنساء بفاطمة الزهراء، والأنفس بابن عمه علي بن أبي طالبٍ -رضي الله عنهم أجمعين-[(٢)]. والدليل على هذا الاختصاص ما روي في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص المتقدم[(٣)]. قال ابن عطية: وظاهر الأمر الأمر أن النبي -عليه السلام- جاءهم بما يخصه، ولو عزموا استدعى المؤمنين بأبنائهم ونسائهم، ويحتمل أنه كان يكتفي بنفسه وخاصته فقط[(٤)].

وذهب آخرون إلى [أن][(٥)] ذلك ليس مختصاً به، بل كان ذلك عاماً له وللمؤمنين، بدليل ﴿أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ الآية، ولما دعاهم بأهله الذين في حوزته، ولو عزم نصارى نجران على المباهلة وجاؤوا لها؛ لأمر النبي ﷺ المسلمين أن يخرجوا بأبنائهم ونسائهم وأنفسهم للمباهلة[(٦)]. وقيل: المراد بالأنفس الأزواج[(٧)]، وهذا يضعفه قوله: ﴿وَنِسَآءَنَا﴾.

وقِيلَ: القرابة القريبةُ[(٨)].

---

(١) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٧٠) إنّ هذه البنوة قد تكون خاصة بالحسن والحسين أن يسميا ابني النبي -ﷺ- دون غيرهما، لقوله -ﷺ- "كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي" ثم أفاض في الجواب عنه في سورة الأنعام والزخرف في تفسيره. وذكر هذا الخلاف السيوطي في الجامع الكبير (٣/١٧٤).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٤٤)، زاد المسير (١/٣٣٩)، البحر المحيط (٢/٥٠٣).

(٣) رواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه رقم: (٢٤٠٤) (٤/١٨٧١).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٤٤).

(٥) سقطت من المخطوط، ولا يستقيم السياق إلا بها.

(٦) ينظر: معالم التنـــزيل (١/٤٥٠)، المحرر الوجيز (٢/٢٤٤).

(٧) ينظر: الكشف والبيان (٣/٨٤)، البسيط (٥/٣٢٢)، زاد المسير (١/٢٨٩)، ونسبه للواحدي أبو حيان في البحر المحيط (٢/٥٠٣).

(٨) ينظر: البسيط (٥/٣٢٢)، زاد المسير (١/٢٨٩)، ونسبه للواحدي أبو حيان في البحر المحيط (٢/٥٠٣).

وعن أبي سليمان الدمشقي[(١)]: هم أهل دينه[(٢)].

وعن ابن قتيبة[(٣)]: الأنفس: الإخوان[(٤)].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ الحجرات: ١١، أي: إخوانكم.

قال الزمخشري: فإن قلتَ: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبيَّن الكاذب منه ومن خصمه، وذلك أمر يختصّ به وبمن يكاذبه، فما معنى ضم الأبناء والنساء؟ قلتُ: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ[(٥)] كبده وأحب الناس إليه. لذلك، ولم يقتصر على تعريض / نفسه له، [١٦/أ] وعلى ثقته بكذب خصمه، حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة.

قال: وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يُقتل، ومن ثَمَّ كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب، ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حُماة الحقائق.

---

(١) هو: عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون العنسي، الحافظ الكبير، أبو سليمان الدمشقي، محدث دمشق ومفتيها. توفي سنة (٢٣٣)هـ. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢٤٠/٥)، سير أعلام النبلاء (٣٢٨/٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٤١٤/١)، البسيط بلفظ: "إخوانكم في الدين" (٣٢٢/٥)، زاد المسير (٢٨٩/١).

(٣) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروذي النحوي، اللغوي، صاحب كتاب: "المعارف"، و"غريب القرآن"، و"مشكل القرآن"، مات سنة (٣٢٢)هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٤٢/٣)، سير أعلام النبلاء (٢٩٦/١٣).

(٤) نقله عن ابن قتيبة ابن الجوزي في زاد المسير (٢٨٩/١).

(٥) الأفلاذ: جمع فلذة، والفلذة: القطعة من الكبد. ينظر: لسان العرب (٥٠٢/٣) مادة: (فلذ).

وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقُرْب مترلتهم، وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مُفدَون بها[(١)].

وفيه دليلٌ لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء -عليهم السلام-[(٢)]، وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي ﷺ، لأنه لم يَرْوِ أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك[(٣)]. انتهى. ولقد أحسن حيث لم يدع أنهم أفضل من غيرهم من الصحابة كما قالت الروافض، بل قد تغالى بعضهم حتى جعل علياً أفضل من سائر الأنبياء غير محمد ﷺ. هذا محمد بن علي الحمصي[(٤)] قد ابتدع من هذه الآية الكريمة أن علياً أفضل ممن ذكرنا، قال: ووجه ذلك من الآية أن قوله: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ آل عمران: ٦١، ليس المراد نفس محمد -عليه السلام- [لأن الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد غيره، وأجمعوا على أن الذي هو غيره علي[(٥)] [-رضي الله عنه-]، فدلت الآية

---

(١) ينظر: الكشاف (٣٩٧/١)، التفسير الكبير (٩١/٨). قال ابن عطية: ودعاء النساء والأبناء للملاعنة أهز للنفوس، وأدعى لرحمة الله، أو لغضبه على المبطلين. المحرر الوجيز (٢٤٤/٢).

(٢) خبرهم مشهور كما سبق ذكر بعض طرقه، وفضائلهم رضي الله عنهم متواترة في كتب أهل السنة، أما تخصيصهم بالسلام فليس من طريقة أهل السنة. ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٧٨/٦).

(٣) الكشاف (٣٩٧/١). وينظر: التفسير الكبير (٩١/٨) حيث ذكر أنها دلت على صحت نبوته -ﷺ- من وجهين.

(٤) كذا في المخطوط وأيضاً في البحر المحيط لأبي حيان (٥٠٣/٢)، وكذا في لسان الميزان لابن حجر، ووقع عند الرازي في التفسير الكبير (٩١/٨): "كان رجل في الريّ يقال له: محمود بن الحسن الحمصي. قال: وكان معلم الإثني عشرية، وكان يزعم أن علياً -رضي الله عنه- أفضل من كل الأنبياء" ولعل الصواب [محمود]، وهو أبو الثناء محمود بن علي بن الحسن الحُمصي الرازي، والحُمّصى بتشديد الميم نسبة إلى بيع الحُمّص، وهو على مذهب الشيعة الإمامية مات بعد الستمائة، وقد عاش مائة سنة. ينظر: لسان الميزان (٣١٧/٥)، تاريخ الإسلام للذهبي (٤٩٣/٤٢)، الأنوار الساطعة في المائة السابعة لأغا بزرك الطهراني ص (٦٤).

(٥) نقله عن الشعبي ابن الجوزي في زاد المسير (٢٨٩/١).

على أن نفسه نفس الرسول، ولا يمكن أن يكون عينها][1] فالمراد مثلها، وذلك يقتضي العموم، إلا أنه ترك في حق النبوة الفضل لقيام الدليل، ودل الإجماع على أنه كان ﷺ أفضل الأنبياء، فلزم أن يكون علي كذلك.

قال: ويؤكد ذلك الحديث المنقول عنه من الموافق والمخالف: «**من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في حلمه، وموسى في قوته**[2]، **وعيسى في صَفْوته؛ فلينظر إلى علي بن أبي طالب**»[3]. قال: فقد اجتمع في علي ما تفرق في هؤلاء الأنبياء -عليهم السلام-. قال: وذلك يدل على أنه أفضل من جميع الأنبياء والصحابة[4]. وهذا الاستدلال فاسد جداً، وعلي -رضي الله عنه-، وإن كان من أفاضل الصحابة وأكابرها فلا يصل إلى درجة النبوة البتة، بل ولا أفضلُ الصحابة كأبي بكر لا يصل إلى درجة النبوة البتة. وأما قوله: «لأن الإنسان لا / يدعو نفسه» فممنوع، [١٦/ب] بل لسان العرب مملوء من ذلك، يقولون: دعوت نفسي فأجابتني أو فلم تجبني، على المجاز، وهو مجاز شائع سائغ[5].

---

(١) ما بين القوسين استدركه المؤلف في الحاشية وعرض الصفحة.

(٢) في التفسير الكبير (٨/٨٩)، وإبراهيم في خُلّته، وموسى في هيبته.

(٣) أخرجه الحاكم في " تاريخه" كما في "تنزيه الشريعة" للكناني (١/٣٩٠) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (١/٣٧٠) عن أبي الحمراء مولى رسول الله -ﷺ-. قال ابن الجوزي: وفيه أبو عمر الأزدي متروك. وحكم عليه شيخ الإسلام في منهاج السنة (٥/٥١٠) بالكذب والوضع أيضاً. وذكره ابن حجر في لسان الميزان (٦/٢٤).

(٤) ينظر: التفسير الكبير (٨/٨٩)، غرائب القرآن (٢/١٧٩).

(٥) ينظر: شرح المقاصد (٢/٣٠١)، وينظر المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري (١/١٣٨).

وأما قوله: «أجمعوا على أن الذي هو غيره علي» فليس بصحيح، بل قيل: إنهم الإخوان[١]، وقيل: الأزواج[٢]، وقيل: القرابة القريبة[٣]؛ كما قدمناه.

وأما قوله: «إن المماثلة تقتضي العموم» فممنوع أيضاً، بل يكتفي في ذلك ببعض الوجوه، هذا الذي يعرفه أهل اللغة، والذي ادعاه من العموم في المماثلة شيء قاله المتكلمون واصطلحوا عليه وليس من وضع اللغة، فالمماثلة بينهما كونهما ابني عم من قبيلة واحدة، والعرب تقول: فلان من أنفسنا، أي: من قبيلتنا وأهلنا، لا سيما مع قرينة المحبة وإرادة التقريب. وأما الحديث فموضوع[٤].

وأجاب الرازي عن هذا الاستدلال: بأن الإجماع منعقد على أن النبي أفضل ممن ليس بنبي، وعلي لم يكن نبياً، فلزم القطع بأنه مخصوص في حق جميع الأنبياء -عليهم السلام-[٥].

[٥].

---

(١) ينظر: زاد المسير (٣٣٩/١).

(٢) ينظر: الكشف والبيان (٨٤/٣)، البسيط (٣٢٢/٥)، ونسبه للواحدي أبو حيان في البحر المحيط (٥٠٣/٢).

(٣) ينظر: البسيط (٣٢٢/٥)، زاد المسير (٣٣٩/١)، البحر المحيط (٥٠٣/٢) ونسبه للواحدي.

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٩٥/٢)، التفسير الكبير (٩٠/٨)، البحر المحيط (٥٠٤/٢).

وهذه البدعة أعني تفضيله الولي على النبي [ﷺ] قال بها جماعة من الصوفية[(١)]، ولم يقتصروا بذلك على علي -عليه السلام-[(٢)]. واستدلوا بأن الولي يأخذ عن الله شفاهاً[(٣)]، والنبي يأخذ عنه بواسطة الملك، والأول كذب بحت[(٤)].

● ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ آل عمران: ٦١، أي: نتباهل، بأن نقول: بهلة الله على الكاذب منا ومنكم. والبَهْلة والبُهْلة؛ بفتح الباء وضمها، اللعنة[(٥)].

---

(١) الصوفية: اختُلِف فيها من حيث النسبة، ورجح ابن تيمية وغيره أنها نسبة إلى الصوف؛ لزهدهم ولبسهم الصوف. واختُلِف في تعريف التصوف في الاصطلاح اختلافًا كثيرا، فقيل: الإعراض عن الاعتراض، وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله، وقيل: الأخذ بالحقائق، والكلام بالدقائق، والإياس مما في أيدي الخلائق. وبالجملة فالصوفية كانت بالزهد، ثم تطورت وصارت مذاهب شتَّى، منها ما يقرب من السنَّة ومنها ما يَبْعُد، بل منها ما يصل إلى حدِّ الزندقة. ينظر: مجموع الفتاوى (٦/١١)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢٥٢/١).

(٢) الأولى قول -رضي الله عنه- كبقية الصحابة -رضوان الله عليهم-، ولأن علي -رضي الله عنه- واحد منهم، ولم تثبت له أي مزية عليهم.

(٣) وقد أبطل هذه الفـــرية أهل العلم، ينظر: مجموع الفتاوى (٢٩/١٣)، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية لشيخ الإسلام بن تيمية (٣٨٧/١).

(٤) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢١/٤)، فتح الباري لابن حجر (٢٢٠/١)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (١٩٦/٢).

(٥) أصل الابتهال في اللغة: الاجتهاد في الدعاء باللعن، قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص (١٠٦): "نبتهل" أي: نتداعى باللعن، يُقال: "بَهلة الله عليه أي لعنته". اهـ. وينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٩٦/١)، معاني القرآن وإعرابه (٢٨٥/١)، تفسير الراغب ص (١٠٦)، المحرر الوجيز (٢٤٢/٢)، زاد المسير (٢٨٩/١)، التفسير الكبير (٩٠/٨).

ومنه: بهله الله، أي: أبعده من رحمته[(١)]. وأصله من أبهله أي: أهمله[(٢)]، ومنه: ناقة بأهل لا صرار عليها[(٣)]. هذا أصل الابتهال، ثم استعمل في كل دعاء مجتهد فيه وإن لم يكن فيه الْتِعَانٌ[(٤)]، [ومن ثَمَّ اختلفت عبارة أهل التفسير فيه، فعن ابن عباس: «نتضرع إلى الله»[(٥)].

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٥/١)، معاني القرآن للنحاس (٤١٥/١)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٢/١)، تفسير الراغب (٦٠٥/١)، المفردات (بهل) ص (٧٣)، لسان العرب (بهل) (٧١/١١)، التفسير الكبير (٩٠/٨).

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص (٩٥)، و المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للحموي ص (٦٤).

(٣) صررت النـــاقة شددت عليها الصرار، وهو خيط يشد فوق الخَلِفِ والتودية، لئلا يرضعها ولدها. ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٥/١)، مختار الصحاح (٣٧٥/١)، ولسان العرب (٤٥٠/٤). مادة (ص رر). والخَلِف: بوزن الكتف: المخاضُ وهي: الحوامل من النوق. مختار الصحاح ص (١٨٦). والتودية: خشبة تُشَدُّ على خلف الناقة إذا صُرت. القاموس ص (١٧٢٩).

(٤) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦٦٨/٢)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٨٥/١)، معاني القرآن للنحاس (٤١٥/١)، زاد المسير (٢٨٩/١)، التفسير الكبير (٩٠/٨). ومعنى الْتعان أي: الملاعنة.

(٥) هكذا في الكشف والبيان (٨٤/٣)، وأيضاً في الجامع لأحكام القرآن (٤٧٠/٢) ونسبه لابن عباس، والذي رواه ابن أبي حاتم (٣١٤/٢)، وابن المنذر (٢٣٠/١) عن ابن عباس: نجتهد، والمعنى متقارب.

وعن الكلبي[١] :«نجهد في الدعاء»[٢]، وعن مقاتل[٣] : «نخلص فيه»[٤] [٥] .
وقال الراغب: أصل البهل كون الشيء غَيْرَ مُرَاعى[٦] .

والباهل: البعير المخلَّى عن قيده أو عن سمته، وأنشد لامرأة:

أتيتُكَ باهلاً غيرَ ذات صِرار .....[٧]

وأبهلتُ فلاناً خليتُه وإرادتَه، تشبيهاً بالبعير الباهل[٨]. والابتهال في الدعاء الاسترسال فيه والتضرع.

---

(١) محمد بن السائب بن بشر الكلبي. أبو النضر، الكوفي نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، رمي بالرفض وضعفوه، مات سنة (١٤٦)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٥٨/٦)؛ طبقات المفسرين للداوودي (١٤٩/٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن المنذر عن ابن عباس (٢٣٢/١)، تفسير ابن أبي حاتم (٦٦٨/٢) رقم: (٣٦٢٣)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٣٩٨/١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٤٢/٢)، وأبو حيان في البحر (٥٠٤/٢) عن الكلبي، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٠/٢) من طريق ابن جريج عن ابن عباس.

(٣) هو: مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي، كبير المفسرين، كذبوه ورمي بالتجسيم، قال ابن المبارك: "ما أحسن تفسيره لو كان ثقة". توفي سنة (١١٤)هـ. ينظر:سير أعلام النبلاء: (٢٠١/١٧)، ميزان الاعتدال (١٧٣/٤).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٨١/١).

(٥) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية.

(٦) ينظر: تفسير الراغب (٦٠٤/١)، المفردات (مادة (بهل)ص (٧٣).

(٧) قائلة هذا امرأة دريد بن الصمّة لما أراد طلاقها...، ومعناه: أَبْحْتُ له جميع ما كنت أملكه، أملكه، لم استأثر بشيء من دونه. ينظر: الصحاح (بهل)، اللسان: بهل، المفردات ص (٦١)، التفسير الكبير (٩٠/٨).

(٨) ينظر: التفسير الكبير (٩٠/٨).

ومن فسَّر الابتهال باللعن فلأجل أن الاسترسال في هذا المكان لأجل اللعن[١]، قال الشاعر:

..... **نظر الدَّهْرُ إليهم فابْتَهل**[٢]

[أ/١٧] وهذا الشطر للبيد بن ربيعة[٣]، وأوله: / «من قروم[٤] سادة في قومهم....» البيت، وقال ابن دريد[٥]:

لم أرَ كالمزن سواداً مرسلا تحسبها مرعية وَهْي سُدى[٦]

البُهَّل: جمع باهلة، أي: مُهْمَلة[٧].

---

(١) ممن فسر الابتهال باللعن الطبري في جامع البيان (٤٦٥/٥)، والراغب في تفسيره (٦٠٤/١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٧٠/٢).

(٢) البيت للبيد بن ربيعة، تأتي ترجمته بعد قليل. وهذا عجز بيت من قصيدته التي رثى فيها أربد. ومطلعها:

"إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي والعجل"

ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص (٩٧). قال الطبري: أي: دعا عليهم بالهلاك. جامع البيان (٢٩٨/٣).

(٣) هو: لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك العامري ثم الجعفري، كان شاعرا من فحول الشعراء، الشعراء، مات سنة (٤١)هـ. ينظر: أسد الغابة (٩٤٧/١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٦٧٥/٥).

(٤) القروم: جمع قَرْم وهو السيد المعظم. ينظر: لسان العرب (٤٧٣/١٢) مادة: (قرم).

(٥) هو: أبو بكـــر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري. إمام في الأدب والشعر ولسان العرب، من مصنفاته: "الجمهرة" و "الأمالي". توفي سنة (٣٢١)هـ. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٩٢/٣)، بغية الوعاة (٧٦/١).

(٦) ينظر البيت في ديوانه ص (١٢٨).

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٧٠/٢).

وأتى بـ ﴿ ثُمَّ ﴾ مَنْبَهَةٌ على أن الإقدام على مثل ذلك غير محمود، بل يطلب فيه التأني والنظرة. وأيضاً فلا بد من زمان متراخٍ بين دعائه وابتهاله لأنهم يجتمعون وينظرون في ذلك. وهذا الفعل مسوق على الجواب، و﴿ فَنَجْعَل ﴾ عطف عليه، والجعل هنا تصيير، أي: فنصير. و﴿ لَّعْنَتَ ٱللَّهِ ﴾ هي المفعول الأول، والجار والمجرور بعدها هو الثاني.

والمعنى: على الكاذبين منا ومنكم، وهذا على طريق الإنصاف؛ وإلا فحاشاه من الكذب. ويجوز أن يكون الأصل: فنجعلُ لعنةَ الله عليكم لكذبكم، غير أنه عدل عن الخطاب في ذلك تأدباً واستجلاباً لهم وإظهاراً للنَّصَفَة، ومنه: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ: ٢٤. وحذف متعلق الكذب للعلم به، أي: على الكاذبين في أمر عيسى (١). ويجوز أن يراد: أهل الكذب، من غير نظر إلى مكذوب فيه دون مكذوب (٢).

- **قوله:** ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ٦٢. الظاهر أن ﴿ هَٰذَا ﴾ إشارة إلى ما تقدم من خبر عيسى -عليه السلام- (٣)، وبه جزم **الزمخشري فقال:** إن هذا الذي قُصَّ عليك من نبأ عيسى (٤).

---

(١) وهذا قول الطبري في جامع البيان (٤٦٥/٥)؛ ورواه عن قتادة ومحمد بن جعفر ابن الزبير والربيع.

(٢) روى الطبري بسنده عن ابن زيد في قوله: ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ آل عمران: ٦١، قال: منا ومنكم.

(٣) هذا قول الطبري في جامع البيان (٤٦٧/٥) حيث رواه عن ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد، ونحوه عن محمد بن جعفر بن الزبير، وابن المنذر في تفسيره عن ابن إسحاق (٢٣٤/١)، وابن أبي حاتم (٣١٤/٢) عن ابن عباس، وهو قول السمرقندي في تفسيره (٢٤٥/١)، والواحدي في الوجيز (٢١٥/١)، والزمخشري في الكشاف (٣٩٧/١)، والراغب في تفسيره (٦٠٨/١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٤٤/٢)، والرازي في التفسير الكبير (٩٢/٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥٠٥/٢).

(٤) الكشاف (٣٩٧/١).

وذهب جمهور المفسرين إلى أنه إشارة إلى القرآن[(١)].

وقيل: بل هو إشارة لما بعده[(٢)] من قوله: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٦٢، **وهذا ضعيف لوجهين:**

أحدهما: أن هذا خبر لا قصص.

والثاني: أن حرف العطف مانع من ذلك[(٣)].

وأجيب عن الأول: بأن هذا الخبر من جملة ما يُقصّ أيضاً.

وأما الثاني فإشكاله باقٍ، وادعاء زيادة الواو ليس بالسهل[(٤)].

والقصص إما مصدرية على المبالغة، وإما لأنه في نفسه قصص[(٥)]. ويجوز أن يكون فَعْلاً بمعنى مفعول، كالقَبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوص[(٦)]. و«هو» يجوز يجوز أن يكون فصلاً وأن يكون مبتدأ. فالقصص إما خبر لإن، وإما خبر لهو.

---

(١) ذكر القولين الرازي في التفسير الكبير (٩٢/٨)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٧١/٢)، البحر المحيط (٥٠٥/٢) واختاره، تفسير ابن كثير (٤٥/٢).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٥٠٥/٢)، الدر المصون (٨١٥/١).

(٣) المرجع السابق. وحرف العطف هو الواو في (وما).

(٤) ممن ضعف القول الثالث هذا أبو حيان في البحر المحيط (٤٨١/٢)، ويؤيد هذا التضعيف قاعدة من قواعد التفسير وهي: "إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته على غيره"؛ وأيضاً: مخالفة هذا القول لقول جمهور المفسرين. وينظر للمسألة: ترجيحات أبي حيان النحوية في التفسير من سورة آل عمران إلى آخر سورة المائدة؛ جمعاً ودراسة وموازنة من خلال تفسيره البحر المحيط، للباحث: جمال محمد ربعين، جامعة أم القرى، وقواعد الترجيح للحربي (٦٠٣/٢).

(٥) ينظر: المحـــر الوجيز (٢٤٤/٢)، وقال القرطبي: سميت قصصاً لأن المعاني تتابع فيها، فهو من قولهم: "فلان يقص أثر فلان. أي: يتبعه". الجامع لأحكام القرآن (٤٧١/٢).

(٦) قال ابن منظور في اللسان (٧٤/٧): والقصص: الخبر المقصوص. بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. وقال الراغب في تفسيره (٦٠٨/١): القصص كل خبر ==

والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾[(١)].

ودخول اللام على الفصل كدخولها على الخبر، قال الزمخشري: فإن قلتَ: لِمَ جاز[(٢)] / [.....][(٣)] حتى رُفع إليَّ مرة أن راهباً حرم على فلان زوجته، فلم يقربها، ولم يمكّن أهلها ولا أهله منها. [١٧/ب]

والثاني: أن ذلك من باب التوكيد في التوحيد فأُطنب فيه وبُولغ ليقلع القوم عما ألفوه وضريت به نفوسهم، فإن الانتقال عن الأديان أمر مشق، نسأل الله العظيم أن يثبتنا على ديننا ويبعثنا عليه.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ آل عمران: ٦٤، فإن تولى هؤلاء المدعوون إلى الكلمة عنها ولم يتولوها ولم يعملوا بمقتضاها، فأشهدوهم أنكم ملتزمون أحكامها مُنقادون إليها[(٤)]، وعبّر عن العلم بالشهادة مبالغة في الانقياد إلى هذه الكلمة، أخرج الشيء المعقول فجعله محسُوساً مُحْضراً مشْهُوداً[(٥)]. قال الزمخشري: فإن تولوا عن التوحيد فقولوا:

==

مقتطع على وجهته؛ من قولهم: قصصت أثره، وقصصتُ الظفر، وهو اسم للمقصوص، كالقبض والنقص للمقبوض والمنقوص. وينظر: تهذيب اللغة (٢٥٦/٨)، المفردات ص (٤٠٥)، الصحاح (١٠٥١/٣)، البحر المحيط (٥٠٩/٢).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٦/١)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٣/١)، المحرر الوجيز (٢٤٤/٢)، وقال الرازي في التفسير الكبير (٩٣/٨): إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجود، لأنه أقرب إلى المبتدأ منه، وأصلها أن تدخل على المبتدأ.

(٢) الكشاف (٣٩٧/١). وقول الزمخشري نقله أيضاً المصنف في «الدر المصون» (٢٢٩/٣): «قال الزمخشري: فإن قلتَ: لِمَ جاز دخول اللام على الفصل؟ قلت: إذا جاز دخولها على الخبر فدخولها على الفصل أجوز، لأنها أقرب إلى المبتدأ منه، وأصلها أن تدخل على المبتدأ».

(٣) ههنا سَقْطٌ في حدود ورقة تقريباً. وبدأ في تفسير الآية (٦٤) من سورة آل عمران.

(٤) ينظر: جامع البيان (٤٧٤/٥)، تفسير الراغب (٦١٠/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٣/٢).

(٥) ينظر: جامع البيان (٤٨٠/٥)، تفسير الراغب (٦١٠/١).

اشهدوا بأنّا مسلمون، أي: لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنّا مسلمون دونكم، كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع أو غيرها: اعترفْ بأني أنا الغالب، وسلِّم لي الغلبة[(١)].

قال: ويجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه: اشهدوا واعترفوا بأنكم كاذبون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره[(٢)].

وقال ابن عطية: هذا [أمر][(٣)] بإعلامٍ بمخالفتهم ومواجهتهم بذلك، وإشهادهم على معنى التوبيخ والتهديد، أي: سترون أنتم أيها المتولون عاقبة توليكم كيف تكون[(٤)].

وهذه الآية الكريمة هي التي ضمّنها رسول الله ﷺ كتابه الذي كتب به إلى قيصر عظيم الروم، فلما قرئ عليه الكتاب وقُرئتْ هذه الآية لانَ إلى الإسلام، فلما عرف قومه منه ذلك حاصوا[(٥)] حيصة الحُمُر، فضَنَّ الخبيث بملكه فلم يُسلم، في خبر طويل أثبتناه في غير هذا المكان[(٦)].

---

(١) قال ابن كثير (٨٣/٣): فإن تولوا عن هذا النَّصف وهذه الدعوة، فاشهدوا أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم. وأنكم خاضعون لله متذللون له منقادون، لأن في ذلك زيادة على إقامة الحجة عليهم. ينظر: تفسير الطبري (٤٨٩/٦).

(٢) الكشاف (٣٩٨/١). وينظر: تفسير ابن المنذر (٢٣٤/١).

(٣) كتبت فوق السطر. وفي تفسير ابن عطية: «أمر بتصريح مخالفتهم بمخاطبتهم ومواجهتهم بذلك». والمصنف لم ينقل عنه مباشرة ولعله نقله من «البحر المحيط» (٥٠٦/٢) ففيه كما عند المصنف.

(٤) المحرر الوجيز (٢٤٦/٢).

(٥) من حاص القوم: جالوا يطلبون الفرار والمهرب. المعجم الوسيط (٢١١/١).

(٦) لم أقف عليه في الدّر المصون، والحديث رواه البخاري: في كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم: (٧) ص (٥٩)، ومسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام رقم: (١٧٧٣) ص (٧٥٧) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

وقوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ آل عمران: ٦٤، هو ماضٍ فقط، وليس يجوز فيه أن يكون مضارعاً كما جاز في الذي قبله[(١)].

قال **أبو البقاء**[(٢)]: ولا يجوز أن يكون التقدير: فإن تتولوا؛ لفساد المعنى، لأن قوله: ﴿ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ ﴾ خطاب للمؤمنين، وتتولوا / للمشركين، وعند ذلك [١٨/أ] لا يبقى في الكلام جواب الشرط، والتقدير: فقولوا لهم[(٣)]. انتهى. وهذا الذي قاله ظاهر.

وليس لقائل أن يقول: لِمَ لا يجوز أن يكون الضمير في ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ للمدعوين إلى الكلمة، وفي ﴿ فَقُولُواْ ﴾ للمؤمنين، وفي ﴿ فَٱشْهَدُواْ ﴾ للمدعوين، والتقدير: فإن تتولوا أيها المدعوون فقولوا أيها المؤمنون: اشهدوا أيها المدعوون؟ لأن في ذلك إلغازاً وتعمية يتزّه كتاب الله عنهما؛ بل كلام الفصحاء من البشر[(٤)].

و﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ يجوز أن يكون معناه الإسلام اللغوي، أي: مذعنون منقادون لا نأبى ذلك، وهو الظاهر. ويجوز أن يراد به الإسلام الشرعي، أي: من أهل هذه الملة الشريفة ملة الإسلام[(٥)].

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٢٤/١)، جامع البيان (٤٦٧/٥)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٣/١)، معاني القرآن للنحاس (١٤٤/١).

(٢) هو أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري النحوي الحنبلي الضرير، أديب له معرفة بعلوم القرآن، رحل الناس إليه ببغداد من الأقطار، من مصنفاته: "إعراب القرآن"، و"الإملاء" و"إعراب شواذ القرآن" وغيرهما، مات سنة (٦١٦)هـ. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (١١٦/٢)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص (١٦٨).

(٣) ينظر الإملاء (١٣٨/١).

(٤) ينظر: جامع البيان (٤٧٤/٥).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٧٣/٢).

• **قوله:** ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ آل عمران: ٦٥.

عن ابن عباس(١) -رضي الله عنه- «أن إبراهيم -صلوات الله عليه- سأل ربه أن يجعل له لسان صدق في الآخرين، قال: فليس ملة من الملل إلا تنتحله، أي: تنتسب إليه، وتدَّعي أنها على دينه. فأهل الكتاب شاملٌ للفريقين اليهود والنصارى»(٢). **وعنه أيضاً**: «أن النصارى قالت: نحن على دين إبراهيم، وقالت اليهود مثل ذلك، فنزلت مكذبةً للطائفتين»(٣).

وقيل: «جادلت الطائفتان رسول الله ﷺ والمؤمنين، وقالوا: كان إبراهيم على ديننا، فأنزل الله الآية مبيّنةً سخَافةَ عقولِهم في هذه الدّعوى، أي: أن اليهوديةَ إنما حدثت بعد نزول التوراة، والنصرانية إنما حدثت بعد نزول الإنجيل، وبين إبراهيم وموسى ألف سنة، وقيل: خمس مائة وخمس وسبعون سنة»(٤).

---

(١) هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، الإمام الحبر البحر، ترجمان القرآن، أبو العباس الهاشمي، ابن عم رسول الله -ﷺ-، توفي -رضي الله عنه- بالطائف سنة ثمان وستين. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣/٣٣١)، معرفة القراء (١/٤٥).

(٢) لم أقف عليه منسوباً لابن عباس، وبمعناه أخرج الطبري (١٧/٥٩٤) عن عكرمة وابن زيد، وينظر: الكشف والبيان (٧/١٧٠)، والنكت والعيون (٤/١٧٧).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/٤٨١) بسنده عن ابن عباس -رضي الله عنه-، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٣٢١)، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٨٤) عن ابن عباس من طريق يونس بن بكير به بأطول مما هنا، والراغب في تفسيره (١/٦٢٠)، عن ابن عباس والحسن والسدي، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/٤٠٢) ونسبه لابن عباس والحسن والسدي. وينظر:، النكت والعيون (١/٣٩٩)، المحرر الوجيز (٣/١١٦)، التفسير الكبير (٨/٩٦)، البحر المحيط (٢/٥٠٩).

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٥/٤٨١) عن ابن عباس؛ ونسبه لابن عباس ابن الجوزي في زاد المسير (١/٢٩١)، وإسناده ضعيف لجهالة محمد شيخ ابن إسحاق.

وعن ابن إسحاق[(١)]: خمس مائة وخمس وستون. وبين عيسى وموسى ألفان، وقيل: ألف وتسع مائة وخمس وعشرون[(٢)]، فكيف يكون المتقدم تابعاً للمتأخّر؟! هذا تُحِيلُهُ العقول[(٣)]، ولهذا قال منكراً عليهم: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ آل عمران: ٦٥، أي: أفلا تعقلون ما تدّعون وتتفكّرون؟ فإن التعقّل لذلك والفكرة فيه يمنع من مقالته[(٤)].

وأيضاً؛ فإبراهيم -عليه السلام- كان مخالفاً لما عليه الطائفتان / في العقائد والأحكام، [١٨/ب] أما العقائد فإن إبراهيم كان دينه التوحيد وعدم الإشراك؛ لأنه حنيف، والحنيف هو المائل إلى دين الحق[(٥)]، ودين الحق هو الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ آل عمران: ١٩، والنصارى واليهود مشركون، قالوا[(٦)] هؤلاء: عزير ابن الله، وقال هؤلاء: المسيح ابن الله، وثالث ثلاثة. فالاعتقادان متباينان غايةَ التباينِ[(٧)]. وأما الأحكام؛ فظاهرٌ، لأن أشياء حُرمت على اليهود ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ النساء: ١٦٠. فكيف يكونون على دينِ مَنْ هذه صفته؟! وإذا

---

(١) هو: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار الأخباري، أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله، القرشي، المطلبي مولاهم، المدني، صاحب السيرة النبوية، ولد سنة (٨٠)هـ، وتوفي سنة (١٥١)هـ، وقيل: (١٥٠)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٣/٧)، الأعلام للزركلي (٢٨/٦).

(٢) نقل قول ابن إسحاق ابن الجوزي في زاد المسير (٢٩١/١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٤٨١/٥)، الوسيط (٤٤٧/١)، تفسير السمعاني (٣٢٩/١).

(٤) ينظر: جامع البيان (٤٨٣/٥)، تفسير الراغب (٦٢٠/١)، الكشاف (٣٩٨/١)، المحرر الوجيز (٢٤٧/٢)، التفسير الكبير (٩٦/٨).

(٥) قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص (٦٤): الحنيف المستقيم. وقيل للأعرج حنيف نظراً له إلى السلامة. ينظر: جامع البيان (٤٨٩/٦)، معاني القرآن وإعرابه (٢٨٧/١)، معاني القرآن للنحاس (٤١٩/١)، تفسير الراغب (٦١٨/١). وينظر أيضاً معنى الحنيف في: مقاييس اللغة (١١٠/٢)، تهذيب اللغة (٧١/٥).

(٦) كذا في المخطوط، على لغة أكلوني البراغيث، والأفصح: قال.

(٧) ينظر: جامع البيان (٤٨٩/٦)، الوسيط (٤٤٧/١)، تفسير السمعاني (٣٢٩/١)، المحرر الوجيز (١١٦/٣).

أريد بالكتاب التوراة والإنجيل فيكون للجنس وإلا فكان يقال: الكتابَيْن[(١)].
و﴿ لِمَ ﴾ استفهام توبيخ وتقريع، وحذفت ألف «ما» الاستفهامية لكونها مجرورة[(٢)]، ولا تثبت ألفها إلا ضرورة[(٣)]، كقوله:

على ما قـــام يشتمني ....[(٤)]

ولذلك عيب على الزمخشري إعرابه «ما» من قوله: ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ يس: ٢٧، استفهامية. و﴿ تُحَآجُّونَ ﴾ تخاصمون وتجادلون بالحجة، لأن كلاً من الفريقين ادعى كونه على دينه وخاصم في ذلك بحجة داحضة[(٥)]. ﴿ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ في شرعه ودينه، وتقولون: إن ديننا دينه. وكيف يكون ذلك والتوراة والإنجيل نزلا بعده، ودين اليهودية والنصرانية فرع على الكتابَيْنِ لأنهما مثبتان للدينين المذكورين، و﴿ لِمَ ﴾ متعلق بتحاجون، وهو واجب التقديم في مثلِه، لأن المعمول له صدر الكلام، و﴿ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ متعلق به أيضاً، والتقدير: لأي شيء تحاجون في دينه؟

والظاهر أن الواو في ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ﴾ واو الحال[(٦)]، أي: كيف تحاجون فيه والحال أن التوراة والإنجيل متأخران عنه؟ فهي الواو في قوله: ﴿ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ آل عمران: ٧٠. ويَضْعف كونها عاطفة. و﴿ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾ متعلق بأنزلت، وهو استثناء مفرغ. ومفعول تعقلون محذوف اقتصاراً، أي: أوَلا تكونون من

---

(١) ينظر: تفسير الراغب باختصار (٦١٨/١).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٤/١).

(٣) علة حذف الألف من (ما) الاستفهامية هو التفريق بينها وبين (ما) الموصولة، وللتخفيف أيضاً. ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٤/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٣/٢)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ص (٣٩٣).

(٤) البيت لحسان وهو: ((على ما قام يشتمني لئيم ... كخنزير تمرغ في رماد)) ينظر: ديوانه ص (٩٠).

(٥) ينظر: جامع البيان (٤٨٠/٥).

(٦) هذا اختيار أبي حيان في البحر المحيط (٥٠٩/٢).

أهل العقول؟ أو اختصاراً، أي: أفلا تعقلون الكلام قبل أن تخرجوه من أفواهكم[(١)].

[١٩/أ] وحسَّنهُ تَواخي الفواصل/. ومعنى الآية: كيف يكون إبراهيم [عليه السلام] على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة، أفلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذه المجادلة الباطلة، الشاهد ببطلانها العقول؟![(٢)].

● قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ آل عمران: ٦٦.

اختلف المفسرون فيما لهم به علم، فقيل: الذي لهم به علم هو أمر محمد ﷺ، وذلك أنهم وجدوا نعته في كتبهم، وعرفوا أنه نبي مرسل في آخر الزمان، ثم جادلوا في حَقِّيَّة ذلك، والذي ليس لهم به علم هو أمر إبراهيم الخليل[(٣)]. أي: هب أنكم جادلتم جدالاً باطلاً فيما علمتم حقيته، فكيف تجادلون فيما لم تعلموا له حقية البتة؟! بل أنتم مكابرون في الحالتين[(٤)].

وذهب الربيع[(٥)]، والسُّدِّي[(٦)]، ومقاتل، وطائفة؛ إلى أن الذي لهم به علم هو دينهم[(٧)]، لأنهم وجدوه في كتبهم وعرفوا صحته من أنبيائهم، ثم بدّلوه. والذي ليس

---

(١) ينظر: تفسير الهداية (١٠٤٠/٢)، التفسير الكبير (٢٥٣/٣).

(٢) ينظر: تفسير الراغب (٦٢٠/١)، التفسير الكبير (٩٧/٨).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٨٧/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٥١/٢)، وهو اختيار السمرقندي في تفسيره (٢٤٦/١)، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٧٤/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان (٤٨٣/٥)، تفسير الراغب (٦٢١/١)، البحر المحيط (٥٠٩/٢).

(٥) هو: الربيع بن أنس ابن زياد البكري، الخراساني، المروزي، حديثه في السنن الاربعة، توفي (١٣٦)هـ. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠٢/٧)، سير أعلام النبلاء (١٦٩/٦).

(٦) هو: إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السدي الكبير أبو محمد الكوفي، الإمام المفسر، أحد موالي قريش، صدوق يهم، ورمي بالتشيع، توفي سنة (١٢٧)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: (٢٦٤/٥)، التقريب: ص (١٠٨).

(٧) هذا قول قتادة والسدي كما أخرج عنهما الطبري في جامع البيان (٤٨٣/٥) واختاره، وهو قول الواحدي في الوجيز (٢١٦/١)، والزمخشري في الكشاف (٣٩٨/١). وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٢١/٢)، أحكام القرآن للجصاص (٢٩٨/٢)، النكت والعيون (٤٠٠/١)، الوسيط (٤٤٨/١).

[لهم][(١)] به علم هو أمر إبراهيم [عليه السلام] ودينه، إذ لم يكن موجوداً في كتبهم، ولا أتت به أنبياؤهم، ولم يشاهدوه، فكيف يجادلون فيه؟!» وهذا أشبه مما قبله، لأن ما بعده وما قبله يشهد لصحته. والظاهر أن لهم علماً[(٢)]. وقال: وكأن ابن عطية لم يرتض هذا القول، فإنه حين عزاه لابن جرير الطبري[(٣)] قال: وذهب عنه أن ما كان هكذا فلا يحتاج معهم فيه إلى محاجّة، لأنهم يجدونه عند محمد ﷺ، كما كان هناك على حقيقته[(٤)]. وظاهر كلامه نقيض أن لهم علماً، وجعله ابن عطية على العكس، فقال: فيما لكم به علم على زعمكم، وإنما المعنى: فيما يشبه دعواكم، ويكون الدليل العقلي يرد عليكم[(٥)].

وقال الرازي: أي زعمتم أن شريعة التوراة والإنجيل مخالفة لشريعة القرآن، فكيف تحاجون فيما لا علم لكم [به][(٦)]، وهو ادعاؤكم أن شريعة إبراهيم مخالفة لشريعة محمد ﷺ[(٧)]. ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ أي: تدعون علمه، لا أنه وصفهم العلم حقيقة، فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة؟![(٨)]. وقال قتادة[(٩)] أيضاً: «حاججتم فيما شاهدتم ورأيتم، فلم تحاجون فيما لم تشاهدوا ولم

---

(١) سقطت من المخطوط، ولا بد منها لأجل السياق.

(٢) خلاصة ما توصل إليه الباحث في ترجيحات أبي حيان في التفسير ص (١٨٠): أنه لا تعارض بين هذا القول والذي قبله، وهو ما تلمح إليه عبارة الطبري. والله أعلم.

(٣) هو: محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر، أحد أئمة العلماء المجتهدين، تفنن وكتب في عدد من العلوم، من كتبه: (جامع البيان في تأويل القرآن) من أجلّ كتب التفسير، توفي سنة (٣١٠)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦٥/١١)، طبقات المفسرين للداوودي (١١٠/٢).

(٤) المحرر الوجيز (٢٤٨/٢).

(٥) المحرر الوجيز (٢٤٨/٢).

(٦) سقط من المخطوط، واستدركته من تفسير الرازي (٢٥٤/٨).

(٧) التفسير الكبير (٩٨/٨)، وينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٩٨/٢)، تفسير البحر المحيط المحيط (٥١٠/٢).

(٨) ينظر: التفسير الكبير (٢٥٤/٣)، غرائب القرآن للنيسابوري (١٨١/٢).

(٩) هو: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي البصري، الضرير. توفي سنة (١٢٧)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٥)، وفيات الأعيان (٨٥/٤).

تعلموا؟!»[(١)]. وقال الزمخشري: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [ها][(٢)] للتنبيه[(٣)]، و«أنتم» مبتدأ، مبتدأ، و﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ خبره[(٤)]، و﴿ حَٰجَجۡتُمۡ ﴾ جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى، يعني: أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى، وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والإنجيل / فلِمَ تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين إبراهيم. انتهى[(٥)]. [١٩/ب]

ولم يَحْكِ غيره، وهذا هو الذي قلت إنه الظاهر، ولكن فيه ما ذكره ابن عطية وإن كان واهياً[(٦)]. واختلف القراء في هذا الحرف والمقرؤون اختلافاً كبيراً ضبطناه في في «عقد اللآلئ»[(٧)]، ولنذكر منه هنا ما يليق بالكتاب، فأقول: وبالله العون.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٩٣/٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة بلفظ مقارب؛ وسنده حسن، وأخرجه عن قتادة ابن المنذر في تفسيره (٢٤٥/١) رقم: (٥٧٤)، ونسبه لقتادة ابن الجوزي في زاد المسير (٢٩١/١).

(٢) سقطت من المخطوط، واستدركتها من تفسير الزمخشري (٣٧١/١).

(٣) قال الراغب في تفسيره (٦٢٠/١): ها للتنبيه عما يضل عنه الإنسان أو يغفل، تقول: "ها أنا ذا" تنبيهاً لمن غفل عنك. وينظر: العين للفراهيدي (١٠٢/٤)، الكتاب (٣٥٤/٢).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٢٤٨/٢)، الإملاء ص (٣٢).

(٥) الكشاف (٣٩٨/١).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٢٤٨/٢)، وقال الثعالبي في الجواهر الحسان (٥٧/٢) بعد أن نقل اعتراض ابن عطية وحجته: «قلت: وما قاله الطبري أبين، وهو ظاهر الآية، ومن المعلوم أن أكثر احتجاجاتهم إنما كانت تعسفاً وجحداً للحق». ومن تعرض أيضاً لاستدراك ابن عطية واختار ما رآه الطبري أبو حيان في البحر المحيط (٥٠٩/٢). وينظر: استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في جامع البيان، رسالة علمية للدكتور/شايع الأسمري، طبعتها عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة (٤٠٨/١)، بسط فيها الحديث عن قول الفريقين وحججهم.

(٧) لعله يقصد العقد النضيد للمصنف، ينظر: العقد النضيد تحقيق الدكتور أيمن سويد ص (١٠١٣-١٠١٤) فقد بسط الحديث عن هذه القراءات. ولأبي حيان نظم في القراءات اسمه: "عقد اللآلئ في القراءات السبع العوالي" قام الدكتور/حسين بن محمد العواجي بعرضه ودراسته، ومنشور بمجلة البحوث والدراسات القرآنية -العدد الثامن- السنة الرابعة. ولكنه قطعاً لا يقصده.

القراء في هذا الحرف الشريف على أربع مراتب[١]:-

الأولى: للكوفيين، وابن عامر[٢]، والبزي[٣] عن ابن كثير[٤] ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ ﴾، بألفٍ بعد الهاء ثم همزة محققة[٥].

الثانية: لأبي عمرو[٦]، وقالون[٧] عن نافع[٨]؛ كذلك، إلا أن الهمزة مسهلة بين بين، أي: بينها وبين الألف[٩].

الثالثة: لورش[١٠]، وعنه وجهان:

---

(١) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات (٣٤٦/١)، النشر في القراءات العشر (٣٥٦/١)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للقاضي ص (٦٥).

(٢) هو: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي الدمشقي، إمام الشاميين في القراءة، أبو عامر، روى عنه خلق كثير، توفي سنة (١١٨)هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار (٨٢/١)، سير أعلام النبلاء (٤٦١/١٧).

(٣) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، المخزومي مولاهم، مقرئ مكة ومؤذنها صاحب ابن ابن كثير. توفي سنة (٢٥٠)هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار ص (٤٦)، الأعلام (٢٠٤/١).

(٤) هو: عبد الله بن كثير بن عمرو الداري المكي المقرئ، إمام المكيين في القراءة، توفي سنة (١٢٠)هـ. ينظر: معرفة القراء (٨٦/١)، غاية النهاية في طبقات القراء (٤٤٣/١).

(٥) قراءة متواترة للجمهور، ينظر: السبعه ص (٢٠٧)، والكشف (٣٦٤/١)، والحجة (٤٦/٣)، الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم (٣٧٥/١)، التيسير ص (٧٤).

(٦) هو: زَبَّـــان بن العلاء بن عمار بن العريان، المقرئ النحوي، شيخ القراء بالبصرة، أحد القراء السبعة، توفي سنة (١٥٤)هـ. ينظر: معرفة القراء (١٠٠/١)، طبقات القراء (١٧٩/١).

(٧) قالون هو: عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى، الزهري مولاهم المدني المقرئ النحوي، توفي سنة ٢٢٠هـ. ينظر: معرفة القراء (١٥٥/١)، غاية النهاية (٥٤٢/٢).

(٨) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم اللَّيثي مولاهم المدني، أحد القراء السبعة، توفي (١٦٧)هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار (١٠٧/١)، غاية النهاية (٢٨٨/٢).

(٩) قراءة متواترة: ينظر مصادر القراءة الأولى التي للكوفيين.

(١٠) هو: عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان، شيخ القراء بمصر، انتهت إليه رياسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، توفي (١٩٧)هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار (١٥٢/١)، غاية النهاية في طبقات القراء (٩١/٣).

أحدهما: بهمزة مسهلة بعد الهاء دونَ ألفٍ بينهما.

الثاني: بألف محضة بعد الهاء ولا همز البتَة[(١)].

الرابعة: لقُنبل[(٢)]، بهمزة محققة بعد الهاء دون ألف بينهما[(٣)].

هذا ما يتعلق بضبط نقل القراءة[(٤)]، فلنرجع إلى توجيهها.

أما «ها» فاختلف الناس فيها[(٥)]، فقائل: هي «ها» التي للتنبيه الداخلة على أنتما للإشارة، إلا أنه قد فصل بينها وبين اسم الإشارة بالضمير المرفوع المنفصل[(٦)]، وقد كَثُر ذلك نحو: ها أنت ذا قائماً، وها نحن أولاء قائمين، ويقلّ الفصل بينهما بغير الضمائر المذكورة، كقول الشاعر:

تعلمن هـــا -لعمرو الله- ذا قسمـــاً فاقدر بذرعك وانظر أين تنسلك[(٧)]

---

(١) قراءة متواترة: ينظر مصادر القراءة الأولى.

(٢) هو: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جُرجة المكي المقرئ، شيخ المقرئين، انتهت إليه رياسة الإقراء لعلوّ إسناده، توفي (٢٩١)هـ. ينظر: معرفة القراء (٢٣٠/١)، غاية النهاية في طبقات القراء (١٦٥/٢).

(٣) قراءة متواترة: ينظر مصادر القراءة الأولى.

(٤) كل ما سبق من أوجه متواتر، ينظر: الكشف عن وجوه القراءات (٣٤٦/١)، النشر في القراءات العشر (٣٥٦/١)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للقاضي ص (٦٥).

(٥) ممن ذكر الخلاف فيها الرازي في التفسير الكبير (٩٨/٨)، والسمين الحلبي في العقد النضيد النضيد ص (١٠١٣) تحقيق: أيمن سويد.

(٦) ينظر: العين (١٠٢/٤)، الكتاب (٣٥٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٤/٢)، العقد النضيد ص (١٠١٣) تحقيق: أيمن سويد.

(٧) البيت لزهير بن أبي سلمى. ينظر: ديوانـــه: ص (٨١)، شرح أبيات سيبويه للنحاس ص (٦٨٦).

وقال النابغة[(١)]:

ها -إن- ذي عِذرةٌ إن لا تكن قبلت فإن صاحبها قد تـــاه في البلـــد[(٢)]

ففصل بين «ها» وبين «ذا» بعمرو الله، وفصل بين «ها» وبين «ذي» بإنَّ. وقد تعاد «ها» التي للتنبيه توكيداً، كهذه الآية. ومن الفصل دون إعادة قوله تعالى في موضع آخر: ﴿هَـٰأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ آل عمران: ١١٩.

وقال آخرون: إن الهاء بدل من همزة استفهام[(٣)]، الأصل: أأنتم هؤلاء، فأبدلت فأبدلت الهمزة هاءً، وقد كثر إبدالها بها، ومنه: هرقتَ الماء، وهرحت الماشية، وهنرت الثوبَ، يريدون: أرقت، وأرحت، وأنرت[(٤)]. وبهذا قال أبو عمرو بن العلاء[(٥)]، والأخفش[(٦)]. استحسنه أبو جعفر[(٧)][(٨)]، وفيه نظر من حيث إنه لم يثبت ذلك في

---

(١) النابغة هو: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أحد شعراء الجاهلية المشهورين، من الطبقة الاولى، توفي سنة (١٠١)هـ. ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٦٢/١)، طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام (٥١/١).

(٢) ينظر: ديوان النابغة ص (٢٨)، خزانة الأدب (٤٥٩/٥)، شرح الفصل (١١٣/٨).

(٣) ينظر: العـــين (١٠٢/٤)، الكتاب (٣٥٤/٢)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٤/١)، الموضح لوجوه القراءات وعللها (٣٧٤/١)، البحر المحيط (٥١٠/٢).

(٤) أنار الثوب وناره ونيّره: أعلمه وألحمه، والنير: العَلَم واللحمة معاً. ينظر: أساس البلاغة للزمخشري (٣١٥/٢).

(٥) هو: زَبَّـــان بن العلاء، المقرئ النحوي. تقدمت ترجمته ص (١٢١).

(٦) نقله عن الأخفش البغوي في معالم التنـــزيل (٣١٢/١)، واستحسنه النحاس في إعراب القرآن (٣٨٤/١)، نسبه لأبي عمرو بن العلاء النحاس في إعراب القرآن (١٦٤/١)، ونسبه لأبي عمرو بن العلاء والأخفش القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٧٤/٢). وينظر: المحرر الوجيز (١٥٨/٣)، العقد النضيد ص (١٠١٣)، تحقيق: أيمن سويد، البحر المحيط (٥١٠/٢).

(٧) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، نحوي، لغوي. لغوي. من مصنفاته: "تفسير القرآن"، "الناسخ والمنسوخ"، "معاني القرآن" توفي عام (٣٣٨)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/١٢)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص (٨٤).

(٨) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٤/١).

همزة الاستفهام، إذ لم يسمع منهم: هتضربُ زيداً؛ بمعنى: أتضرب زيداً؟ فإذا لم يثبت ذلك فكيف يُحمل عليه أفصح كلام؟![(١)] كذا اعترض الشيخ[(٢)]، وفيه نظر من حيث حيث إن الإبدال وقع في الهمزة من حيث هي همزة، من غير نظر إلى كونها بخصوصيته استفهام [..... تقدمه .....][(٣)].

[٢٠/أ] / وهذا الوجه -أعني كونها بدلاً من همزة استفهام- ظاهر على قراءة ورش وقنبل، لأنهما لا يدخلان ألفاً بين «ها» وهمزة الاستفهام، لأن إدخال الألف إنما كان لنقل اجتماع همزتين؛ وقد زال ذلك بإبدال الأولى هاءً، فلم يُحتج إلى إدخال ألفٍ[(٤)]، ومن مجيء إبدال همزة الاستفهام قوله:

وأتت صواحبها فقلن هذا الذي منح الـــمودَّة غيرنا وجفانـــا[(٥)]

يريد: أذا الذي. ويَضْعفُ أن تكون «ها» للتنبيه على قراءتهما، لأنه لم يحفظ حذف ألف «ها» التي للتنبيه، لا يقال: هذا زيد، بحذف ألف «ها»، وإن كانت تكتب كذلك.

---

(١) قد حكى ابن جني في كتابه سرّ صناعة الإعراب (٢٠٦/٢) ذلك عن قطرب قال: "يقولون: هزيد منطلق؟ أي: أزيد منطلق". ولعلَّ السمين لم يطلع على قول قطرب.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٤٨٦/٢).

(٣) هاهنا عبـــارة بمقدار ست كلمات تقريباً غير واضحة بسبب سوء التصوير في زاوية الورقة. وجاءت عبارة نحوها في الدر المصون (٨٢١/١): "ولا نظر إلى كونها همزة استفهام ولا غيرها، وهذا أعني كونها..." .

(٤) ينظر: حجـــة القـــراءات لابن زنجلة ص (١٦٥)، الموضح في وجوه القراءات وعللها (٣٧٤/١).

(٥) ينسب هذا البيت لجميـــل بثينة، وليس في ديوانه، ينظر: المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ص (٥١٤)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ص (٤٥٥). والشاهد فيه: هذا، أي أذا؟ بإبدال الهمزة هاءً.

هكذا قالوه، وفيه نظر؛ لأن ابن عامر -كما سيأتي- قد حذف ألف «ها» التي للتنبيه في ثلاثة مواضع، غير أنه ضم الهاء، وذلك في قوله: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ النور: ٣١.

الثاني: قوله: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾ الزخرف: ٤٩.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ الرحمن: ٣١، حذف ألف «ها» اتباعاً لرسم مصحفه، مع روايته ذلك عن مشايخه، فقد ثبت حذف الألف من «ها» في الجملة، وأما ضم الهاء فلعلّةٍ سنذكرها إن شاء الله إذا وصلنا إلى أول مواضعها[(١)]. وأما من أثبت ألفاً بين «ها» وبين همزة أنتم، فالظاهر في قراءته أن «ها» للتنبيه، ويضعف أن تكون بدلاً من همزة الاستفهام لما تقدم من أن الألف إنما تدخل لأجل النقل، والنقل قد زال بإبدال الهمزة هاءً[(٢)]. وقال بعض المشايخ: الذي يقتضيه النظرُ أن تكون «ها» في قراءة الكوفيين والبزي وابن ذكوان[(٣)] للتنبيه؛ لأن الألف في قراءتهم ثابتة، وليس من مذهبهم أن يعطلوا بين الهمزتين بألفٍ، وأن تكون في قراءة قُنبل وورش مبدلة من همزة، لأن قنبلاً يقرأ بهمزة بعد الهاء، ولو كانت «ها» للتنبيه لأتى بعد الهاء بألفٍ، وإنما لم يسهل الهمزة كما سهَّلها في ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ البقرة: ٦، ونحوه، لأن إبدال الأولى هاءً أغناه عن ذلك، ولأن ورشاً فعل فيه ما فعل في ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ البقرة: ٦، ونحوه من تسهيل الهمزة وترك إدخال الألف، وكأن الوجه في قراءته بالألف أيضاً الحمْل / على البدل كالوجه الثاني في ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ البقرة: ٦، ونحوه من الهمزة وترك الألف. [٢٠/ب]

---

(١) ينظر: السبعة لابن مجاهد ص (٤٥٥).

(٢) ينظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها (١/٣٧٤).

(٣) ابن ذكوان هو: عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي الراوي الثقة، شيخ الإقراء بالشام، توفي (٢٤٢)هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار ص (١١٧)، غاية النهاية (١/٣٦٣).

ومن عدا هؤلاء -وهم: أبوعمرو، وقالون، وهشام[١] - يحتمل أن تكون «ها» للتنبيه، وأن تكون بدلاً من همزة استفهام.

أما الوجه الأول: فلأن «ها» التنبيه دخلت على أنتم[٢]، فحقق هشام الهمزة كما حققها في ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ونحوه، وحققها قالون وأبو عمرو لتوسطها بدخول حرف التنبيه عليها، وتحقيق الهمزة المتوسطة قوي.

وأما الوجه الثاني: فأن تكون الهاء بدلاً من همزة الاستفهام، لأنهم يفصلون بين الهمزتين بألف، فيكون أبو عمرو وقالون على أصلهما في إدخال الألف والتسهيل، وهشام على أصله في إدخالِ الألف والتحقيق، ولم يقرأ بالوجه الثاني وهو التسهيل لأن إبدال الهمزة الأولى هاء مغنٍ عن ذلك[٣]. وقال آخرون[٤]: إنه يجوز أن تكون «ها» في قراء الجميع مبدلة من همزة، وأن تكون التي للتنبيه دخلت على أنتم، ذكر ذلك أبو علي الفارسي[٥][٦]، والمهدوي[٧]، ومكي[١]، وجماعة[٢].

---

(١) هو: هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي وقيل: الظفري الدمشقي، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم، ومات سنة (٢٤٥)هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ص (١١٥)، غاية النهاية (٣٠٨/٢).

(٢) العقد النضيد ص (١٠١٣) تحقيق: أيمن سويد.

(٣) العقد النضيد ص (١٠١٣) تحقيق: أيمن سويد.

(٤) الدر المصون (٨٢٢/١).

(٥) هو: إمام النحو المشهور، أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان الفارسي الفسوي، مصنفاته كثيرة منها: كتاب "الحجة" في علل القراءات توفي (٣٧٧)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٧٩/١٦)، غاية النهاية (١٨٩/١).

(٦) ينظر: الحجة (٢١٨/٢).

(٧) هو: أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي أبو العباس، الإمام المشهور وله المصنفاب المفيدة منها : "التفصيل الجامع لعلوم التنزيل" و"شرح كتاب الهداية في القراءات" توفي (٤٣١)هـ. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروز آبادي ص (٨٠).

فأما احتمال هذين الوجهين في قراءة أبي عمرو، وقالون عن نافع، وهشام عن ابن عامر؛ فقد تقدم توجيهه وبَيانُه. وأما احتمالها في قراءة غيرهم فأقول:

أما الكوفيون والبزي وابن ذكوان، فقد تقدم توجيه كون «ها» عندهم للتنبيه، وأما توجيه كونها بدلاً من الهمزة عندهم؛ فأن يكون الأصل «أأنتم» ففصلوا بالألف على لغة من قال:

..... آأنــتِ أمْ أمُّ ســالــم[٣] .....

و لم يعبؤوا بإبدال الهمزة الأولى هاءً، لكون البدل فيها عارضاً. وهؤلاء؛ وإن لم يكن من مذهبهم الفصل؛ ولكنهم جمعوا بين اللغتين. وأما توجيه كونها بدلاً من الهمزة في قراءة قنبل وورش، فقد تقدم. وأما توجيهُ كونها للتنبيه في قراءتهما وإن لم يكن فيها ألف؛ أن تكون الألف حذفت لكثرة الاستعمال[٤]. وعلى قول من أبدل لورش حذفت إحدى الألفين لالتقاء الساكنين.

==

(١) هو: مكي بن أبي طالب بن حيوس القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، إمام علامة محقق عارف، من كتبه: "التبصرة في القراءات والكشف عليه" وغيرها توفي (٤٣٧)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥٩١/١٧)، غاية النهاية (٢٧٠/٢).

(٢) ينظر: الحجة (٢١٨/٢)، الكشف (٣٤٧/١).

(٣) عجز بيت وصدره:

((أيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا .....))

والبيت لذي الرُّمة، والشاهد فيه: إدخال الألف بين الهمزتين في (أأنتِ). ينظر ديوانه ص (٧٥٠)، الكتاب لسيبويه (٥٥١/٣). الوعساء: رملة لينة. ينظر: لسان العرب (٢٥٦/٦) مادة: (وعس)، جلاجل: موضع. ويروى بالحاء المهملة. النقا: الكثيب من الرمل. ينظر: لسان العرب (٣٣٩/١٥) مادة: (نقا).

(٤) ينظر: الحجة في القراءات السبع لابن خـــالويه ص (١١٠)، الحجة للقراء السبعة للفارسي (٤٥/٣)، الموضح في وجوه القـــراءات وعللها (٣٧٥/١).

وقال أبو شامة[(١)]: قلتُ: الأولى في هذه الكلمة على جميع القراءات فيها أن تكون «ها» للتنبيه، لأنا إن جعلناها / بدلاً من همزة كانت تلك الهمزة همزة [٢١/أ] استفهام، وها أنتم أينما جاءت في القرآن إنما جاءت للخبر للاستفهام، ولا مانع من ذلك[(٢)] إلا تسهيل من سهّل وحذف من حذف، أما التسهيل فقد سبق تشبيهه بقوله: ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ البقرة: ٢٢٠، وشبهه، وأما الحذف فنقول: «ها» مثل «أمَا» كلاهما حرف تنبيه، وقد ثبت حذف ألف «أمَا» في قولهم: أمَ والله لقد فعل[(٣)]. وقد حمل البصريون قولهم: «هلَّم» على أن الأصل هنا «ها لُمَّ» ثم حذفت ألف «ها»، فكذا ها أنتم. وهذا كلام حسن، وفيه رد على من زعم أن ألف «ها» التي للتنبيه لا تحذف. وتبَّتَه أن قراءة ابن عامر في ثلاثة الأماكن المذكورة يرد عليه أيضاً. إلا أن قوله: إن هاأنتم حيث جاءت كانت خبراً لا استفهاماً؛ ممنوع، بل يجوز الأمران. وقد ذكر الفراء[(٤)] أيضاً بحثاً بالنسبة إلى المد والقصر فقالوا: من أثبت الألف في «ها» واعتقدها للتنبيه وكان من مذهبه أن يقصر في المنفصل، فقياسه هنا قصر الألف، حقق الهمزة أو سهلها[(٥)]. وأما وَرْش فقد تقدم عنه وجهان؛ إبدال الهمزة من «أنتم» ألفاً، وتسهيلها بين بين. فإذا أبدل مدَّ، وإذا سهَّل قصر.

---

(١) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشيخ الإمام، المُفَنِّن شهاب الدين المقدسي، أبو شامة، كان أحد الأئمة، تلا على السخاوي، وعُني بالحديث، له كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النُّورية والصَّلاحية"، و"الباعث" وغيرهما، توفي -رحمه الله- سنة (٦٦٥)هـ. ينظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٦٥/٨)، غاية النهاية (٣٦٥/١).

(٢) أي من جعلها للتنبيه.

(٣) ينظر: الدر المصون (٨٢٢/١).

(٤) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة. صنف: "معاني القرآن"، توفي (٢٠٧)هـ. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص (٣١٣)، بغيـــة الوعاة (٣٣٣/٢)، وفيات الأعيان (١٧٦/٦).

(٥) معاني القرآن للفراء (٢٣١/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٤/٢).

وهذا الذي ذكرته إنما يعرفه من شدا شيئاً من عِلْمٍ [أن يُمكِّن القراءات][(١)] وعلم الإعراب، وإلا فيخبط في عشواء. والكلام في هذا الموضع لمبتغيه في "العقد النضيد" لأنه موضوع له[(٢)]، وفيما ذكرناه هنا مقنع وبلاغ. ثم لك في إعراب هذه الجملة أوجه:

أحدُهَا: أن «أنتم» مبتدأ، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ خبره، والجملة من ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ مبينة للجملة الأولى. فهي مستأنفة[(٣)]، وقد تقدم ذلك عن الزمخشري[(٤)]، ولم يذكر غيره، وتقدم شرح معناه[(٥)].

الثاني: كما تقدم، إلا أن الجملة من ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ في موضع نصب على الحال، ويشهد لذلك التصريح بالحال الصريحة في مكانها، فقالوا: ها أنا ذا قائماً، بنصب قائماً، وهذه من الأحوال اللازمة[(٦)].

الثالث: أن يكون «أنتم» مبتدأ، و ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ موصول بمعنى الذي، و﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ صلته، والموصول خبر المبتدأ[(٧)]، وهذا القول يتأتى/ عند الكوفيين، [٢١/ب] فإنهم يجيزون في سائر أسماء الإشارة أن تكون بمعنى الذي وفروعه[(٨)]، وينشدون:

[..... غدوتِ وهذا تحملين طليق[(١)]

---

(١) غير واضحة في المخطوط وكأنها تقرأ على هذا النحو (أن يمكن من القراءات) .

(٢) ينظر: العقد النضيد، تحقيق الدكتور أيمن سويد ص (١٠١٣-١٠١٤).

(٣) تفسير الراغب (٦٢١/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٤/٢)، البحر المحيط (٥١١/٢).

(٤) الكشاف (٣٩٨/١).

(٥) تقدم قبل قليل: ص (١٢٠) .

(٦) ينظر: الإملاء (٤٨/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٤/٢)، البحر المحيط (٥١١/٢).

(٧) ذكر هذا الوجه الزمخشري في الكشاف (٣٧١/١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥١١/٢). (٥١١/٢).

(٨) ينظر: تفسير الراغب (٦٢١/١)، الكشاف (٣٩٨/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٤/٢)، (٤٧٤/٢)، البحر المحيط (٥١١/٢).

أي: والذي تحملينه طليق.

الرابع: أن «أنتم» مبتدأ [و﴿حَاجَجْتُمْ﴾ خبره، وهؤلاء][(٢)] منادى[(٣)]، وهذا إنما يتجه أيضاً عند الكوفيين[(٤)]، لأن حذف حرف النداء في أسماء الإشارة [...][(٥)] [(٦)]:

إن الأولى وصفوا قومي لهم فيهم هذا اعتصمْ تلقَ من عاداك مخذولاً[(٧)]

أي: فبهم اعتصم يا هذا. وقول الآخر:

لا يغرنكم أولاءِ من القو مِ جنوحٌ للسّلم فهو خِدَاعُ[(٨)]

==

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري. وصدره: ((عدسْ مَا لعبّاد عَلَيْك إمارة)). ينظر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك (٣١٩/٥)، معاني القرآن للفراء (١٣٨/١). وعباد هو ابن زياد. وهذا من شعر قاله يزيد بن مفرّغ الحميرى فى عباد. وكان يزيد قد أكثر من هجوه، حتى حبسه وضيق عليه، حتى خوطب فى أمره معاوية فأمر بإطلاق سراحه، فلما خرج من السجن قدّمت له بغلة فركبها فنفرت، فقال هذا الشعر. وينظر: اللسان مادة (عدس) وعدس: اسم صوت لزجر البغل، الخزانة (٥١٤/٢).

(٢) طمس في المخطوط، استدركته من «الدر المصون» للمصنف (٢٤١/٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤٧٤/٢)، البحر المحيط (٥١١/٢).

(٤) ينظر: المقتضب للمبرد (٢٥٨/٤).

(٥) طمس في المخطوط، وبمعناه في «الدر المصون» (٢٤١/٣): «لأن حرف النداء لا يحذف في أسماء الإشارة، وأجازه الكوفيون وأنشدوا...».

(٦) ما بين المعكوفين ألحقه المؤلف بحاشية المخطوط.

(٧) البيت من الشواهد المجهولة القائل، وهو من البحر البسيط وقد نسبه ابن مالك في شرح التسهيل (١٠٠/١) لرجل من طيئ، وهو أيضاً في: شرح الكافية الشافية (١٢٩٢/٣)، شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (١٩/٣).

(٨) لم اهتد إلى قائله، ينظر: البحر المحيط (٢٠٠/٣)، شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١٣٦/٣).

يريد: يا أولاء.

الخامس: أن يكون ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ منصوباً بإضمار فعل على الاختصاص، و«أنتم» مبتدأ، و﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ خبره، وجملة الاختصاص معترضة.

السادس: أن يكون على حذف مضافٍ تقديره: هأنتم مثل هؤلاء، وتكون الجملة من ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ إما في موضع الحال كما قدمناه. وإما مبينة لوجه التشبيه المقدر.

السابع: أن يكون «أنتم» خبراً مقدماً، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأً مؤخراً، وفيه نظر من حيث أنها معرفتان فلا يقدم الخبر. وهذه الأوجه قد تقدم ذكرها عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ البقرة: ٨٥، إلا أني أعدته تذكرة بما فات.

و«ما» في قوله: ﴿فِيمَا لَكُم﴾ موصوله اسمية أو نكرة موصوفة، والعائد على كلا التقديرين الهاء في ﴿بِهِۦ﴾ ولا يجوز أن تكون مصدرية لأن العائد يمنع من ذلك.

و﴿لَكُم﴾ يجوز أن يكون صلة وحدَهُ، و﴿عِلْمٌ﴾ فاعل به، والتقدير: في الذي استقر لكم به علم. وكذلك يجوز أن يكون هو الصفة وحده، و﴿عِلْمٌ﴾ فاعل به. ويجوز أن يكون ﴿لَكُم﴾ خبراً مقدماً، و﴿عِلْمٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صلة أو صفة لـ «ما»، و﴿بِهِۦ﴾ متعلق بمحذوف على أنه حال من علم، لأنه لو تأخر لكان وصفاً له، فلما تقدم انتصب حالاً، ولا يجوز أن يتعلق بعلم لأن ما في خبر المصدر لا يتقدم عليه. ثم أكد نفي العلم عنهم بذلك بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أي: يعلم دين إبراهيم، وما كان عليه من الشريعة وأحوال الشرائع موافقه ومخالفه [(١)]، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، شيئاً من ذلك البتة، فكيف تحاجون في ذلك؟! فحذف مفعول العلم في الموضعين للعلم به.

ويجوز أن يُراد بالمعلوم المقدم شيء عام يندرج فيه ما حاجوا فيه من دين إبراهيم، وهو الأولى [(٢)].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير (٩٩/٨).

(٢) ينظر: جامع البيان (٤٨٤/٥).

[٢٢/أ] / وفيه حثّ على إصغاء السامع لما يلقيه المتكلم، وهو كقولك لمن تحدثه عن شيء: إني أعلم ما [لا] [(١)] تعلمه، فتجده يلقي إليك سمعه، ويتفهم ما تلقيه إليه، فعلى هذا جاء قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ﴾[(٢)]، وحَسُنَ حذف مفعول العلم من الثاني تواخي الفواصل، ومن الأول لمناسبة الأول للثاني، مع ما في ذلك من تقدير ما يصلح.

● قوله: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ آل عمران: ٦٧. لما أثبت لنفسه المقدسة العلم ونفاه عنهم؛ أخبرهم بعد ذلك بما كان عليه إبراهيم -عليه السلام- من دين الحق؛ وهو دين الإسلام الحنيفي، بعد أن نفى عنه الدينين الذين نسبوهما إليه، فقال تعالى: ما كان إبراهيم كما قالت اليهود، ولا كما قالت النصارى، ولكن كما قالته أمة محمد، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ آل عمران٦٧، فهذه ثلاث جمل مؤكدة بعضها لبعض، لأن من لازم كونه حنيفاً مسلماً أن لا يكون يهودياً ولا نصرانياً ولا مشركاً[(٣)]. وهذا بخلاف ما إذا نفى كونه يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً، فإنه لا يلزم أن يكون مسلماً. مثاله: أن تقول: زيد لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا مشركاً، لا يلزم من ذلك أن يكون مسلماً، لاحتمال أن يكون مُعطِّلاً[(٤)]، أو غير ذلك، اللَّهم إلا أن يجعل المشرك اسماً لمن كان على غير دين الإسلام كالكافر، فيصح حينئذٍ إذا قلتَ: زيد لم يكن مشركاً، أن يكون هذا مستلزماً للإسلام. قال ابن عطية: نفى عنه اليهودية والنصرانية والإشراك

---

(١) سقطت من المخطوط وبها يستقيم السياق كما في تفسير الراغب (٦٢١/١).

(٢) ينظر: تفسير الراغب (٦٢١/١).

(٣) ينظر: جامع البيان (٤٨٥/٥)، تفسير ابن المنذر (٢٤٥/١)، تفسير الراغب (٦٢٢/١)، المحرر الوجيز (٢٤٩/٢)، التفسير الكبير (٩٩/٨)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٥/٢).

(٤) المعطلة: هم الذين ينكرون شيئاً من أسماء الله، أو صفاته، ويحرفون النصوص عن ظاهرها، ويقال لهم: المؤولة.انظر إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل للحموي (٣٤/١)، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للعواجي (١١٦٨/٣).

الذي هو عبادة الأوثان[(١)]، ودخل في ذلك الإشراك الذي تتضمنه اليهودية والنصرانية، وجاء ترتيب النفي على غاية الفصاحة، نفى نفس الملل وقرر الحال الحسنَة، ثم نفى نفياً بيّن به أن تلك الملل فيها هذا الفساد الذي هو الشرك، وهذا كما تقول: ما أخذتُ لك مالاً بل حفظتُه، وما كنتُ سارقاً. فنفيت أقبح ما يكون في الأخذ[(٢)].

وقال الزمخشري: ثم أعلمهم بأنه بريء من دينكم / وما كان إلا حنيفاً مسلماً، [٢٢/ب] وما كان من المشركين، كما لم يكن منكم. أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عُزَيْراً والمسيح[(٣)].

وقال بعضهم: إنما بدأ بنفي اليهودية لأنها أقدم من النصرانية، واستدرك ذكر ذلك الدين الذي كان عليه فقال: ﴿وَلَٰكِن﴾؛ فوقعت هنا أحسن موقع لأنها بين متنافيين بالضدية أو النقيضية، لأن دين الحنيفي حق، ودين غيره باطل، وهما نفي وإثبات[(٤)]. ولما كان الخطاب مع هؤلاء الطائفتين -أعني اليهود والنصارى- جاء الاستدراك بعد نفي ملتيهما. ونصّ على كونه جامعاً بين الوصفين: الحنيف، والمسلم، تأكيداً؛ لأن أحدهما لازم للآخر. وكرر حرف النفي في قوله: ﴿وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ تأكيداً، وهذا نظير قولك: ما كان زيدٌ فقيهاً ولا شاعراً، فإنه نفي لكلٍّ من الصفتين على حدة، بخلاف ما لو قيل: ما كان زيد فقيهاً وشاعراً، أي ما كان جامعاً لهما، ولا يلزم من نفي الهيئة الاجتماعية نفي أحدهما، ولذلك قالوا: «والله لا كلّمت زيداً وعمْراً»، أنها يمين واحدة. فلا يحنث[(٥)] إلا لمجموع الأمرين،

---

(١) الأوثـــان: جمع وَثَنْ وهو: الصَّنم ما كان، وقيل: الصَّنم الصَّغير. ينظر: لسان العرب مادة: (وثن) (٤٤٢/١٣).

(٢) المحرر الوجيز (٢٤٩/٢).

(٣) الكشاف (٣٩٨/١).

(٤) الدر المصون (٨٢٤/١).

(٥) الحِنْـــثُ: الخلف في اليمين، وحنث في يمينه أي: أثم، فإما أن يندم على ما حلف عليه، أو يأثم فتلزمه الكفارة. ينظر: لسان العرب مادة: (حنث) (١٣٨/٢).

و«لا كلّمتُ زيداً ولا عمْراً» يمينان، فيحنث بأحدهما أيّاً كان. ثم إنه تعالى أتى بالنفي الثالث دلالة على التبري من كل دين غير دين الإسلام، فقال: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كالعرب الذين عبدوا الأوثان، وكالمجوس[(١)] الذين عبدوا النيران، وكالصابئة[(٢)] الذين عبدوا الكواكب، وكخزاعة[(٣)] الذين عبدوا الملائكة، إلى غير ذلك من أصناف المشركين. فأتى بهذه اللفظة لتعم الطوائف المذكورة وغيرها. وقيل: أراد بالمشركين اليهود والنصارى؛ لأن أولئك أشركوا عزيراً، والآخرين أشركوا المسيح مع الباري تعالى[(٤)]. فعلى هذا يكون ذلك تأكيداً لما تقدم. والأولى أن يجعل ذلك من باب التعريض والوصف بأقبح ما عليه المخاطَب، كأنه قيل: وما كان منكم أيها المتصفون بالشرك. وقال علي بن عيسى[(٥)]: لا يوصف إبراهيم بأنه كان يهودياً

---

(١) المجـــوس: هم الذين أثبتوا أصلين للعالم هما: (إله النور) خالق الخير واسمه: يزدان. و(إله الظلمة) خالق الشّر، واسمه: أهرمن. والمجوس يعظمون النيران والأنوار. وانقسموا إلى مذاهب كثيرة منها: الثنوية، والزرادشتية، والمركونية، والمزدكية، والتناسخية. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (٣٥/٢)، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (٩٩٠/٣).

(٢) الصـــابئة؛ في مقابلة الحنيفية، وفي اللغة: صبأ الرجل: إذا مال وزاغ. وقيل: بأنها كلمة آرامية الأصل تدل على التطهير، يقدسون الكواكب والنجوم ويعرف منها:

١- الصابئة الحرانيون: وقد انقرضوا في القرن (١١)هـ ومركزهم (حران).

٢- الصابئة المندائيون: ويزعمون أنهم أتباع النبيّ يحيى -عليه السلام-. ويُقَدَّر عددهم حالياً بعشرة آلاف شخص تقريباً معظمهم في العراق وإيران. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (٦٣/٢)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ص (٣١٧).

(٣) خـــزاعة: هم بنو عمرو بن عامر من اليمن، وقيل هم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة، وقيل هم بنو حارثة بن عمرو بن عامر، سُمِّيت خزاعة ؛ لأنهم تخزعوا (تأخروا وانقطعوا) من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فنَزلوا بمرّ الظهران فأقاموا بها. ينظر: سيرة ابن هشام (٩١/١)، الروض الأنف (٢٣٤/١).

(٤) ينظر: الكشاف (٣٩٨/١)، التفسير الكبير (٢٥٤/٣).

(٥) هو: علي بن عيسى الربعي -نسبة إلى ربيعة- الرماني النحوي، من علماء القرن الخامس، أخذ عن ابن السراج وابن دريد، له مصنفات جليلة، منها: شرح الإيضاح لأبي علي، ==

ولا نصرانياً؛ لأنهما صفتا ذم؛ لاختصاصهما بفرقتين ضالتين، وهما طريقان محرّفان عن دين موسى وعيسى، وكونه مسلماً لا يوجب أن يكون على شريعة محمد ﷺ، بل كان على جهة الإسلام[(١)].

[١/٢٣أ] / والحنيف[(٢)] اسم لمن يستقبل في صلاته الكعبة ويحج إليها ويضحي ويختتن، ثم سمي كل من كان على دين إبراهيم حنيفاً[(٣)].

وقال الإمام فخر الدين: إن النفي إن كان في أصول الديانات[(٤)] فيكون في الموافقة لليهود الذين كانوا في عصره عليه السلام، ولأولئك النصارى المعاصرين أيضاً، لأن كلًّا منهما قد غيّر، فقالت النصارى: المسيح ابن الله، واليهود قالوا: عزير ابن الله، لا في الأصول التي كان عليها اليهود والنصارى في زمن موسى وعيسى؛ لأن الأنبياء -عليهم السلام- كلهم متوافقون في أصول الشرائع، وإنما يقع الاختلاف في الفروع، وبعد أن ينسخ ما شاء منها بما شاء، ولذلك نسخ شريعة إبراهيم بشريعة

==

وشرح كتاب الجرمي، وشرح كتاب سيبويه، وكتاب الحدود، وكتاب معاني الحروف، وشرح الموجز لابن السراج، وشرح أصول ابن السراج. توفي ببغداد سنة (٣٨٤)هـ. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص (٢١١)، بغية الوعاة (١٨١/٢).

(١) نقله عن الرماني أبو حيان في البحر المحيط (٥١١/٢).

(٢) الحَنَفُ في أصل اللغة يطلق ويراد به أحد وجهين:

الأول: الميل والمعنى أن إبراهيم -عليه السلام- حنف إلى دين الله، وهو الإسلام فسمي حنيفاً، وقيل للرجل أحنف لميل كل واحدة من قدميه إلى أختها.

والوجه الثاني: أن أصله الاستقامة فسمي دين إبراهيم -عليه السلام- (الحنيفية) لاستقامته، ويسمى المعوج الرجلين أحنفاً تفاؤلاً بالاستقامة كما قيل للديغ: سليم، وللمهلكة من الأرض مفازة. ومنه سمي الأحنف بن قيس ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد (٦١٧/١)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (١٣٤٧/٤)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٤/١).

(٣) ينظر: الكشف والبيان (٨٨/٣)، التفسير البسيط (٣٣٨/٥)، معالم التنـــزيل (٤٥٣/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٥/٢).

(٤) ضرب عليها المؤلف في المخطوط، ثم كتب تحتها: صح.

موسى، وشريعة موسى بشريعة عيسى، وأما موافقته لشريعة نبينا ﷺ؛ فإن كان في الأصول فظاهر، وإن حصلت موافقة في الفروع فتكون في الأكثر، وإن خالف في الأقل لم تقدح المخالفة[(١)]. وقال القاضي عبد الجبار: معنى ما كان يهودياً ولا نصرانياً: لم يكن على الدين الذي يدين به هؤلاء المحاجون، ولكن كان على جهة الدين الذي يدين به المسلمون، وليس المراد أن شريعة موسى وعيسى لم تكن صحيحة[(٢)].

وقد تلخص في المشركين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم اليهود والنصارى؛ لأنهم قالوا: عزير ابن الله، المسيح ابن الله.

والثاني: أنهم العرب عبدة الأصنام، والمجوس عبدة النيران، والصابئة عبدة الكواكب.

والثالث: أنهم عبدة الأوثان[(٣)].

«ولما خرج زيد بن عمرو بن نفيل[(٤)] -وهو أحد من تَأَلَّهَ[(٥)] من العرب- يطلب الدين الصحيح، توجَّه قِبَلَ الشام، فلقي يهودياً ونصرانياً عالمين في دينهما، فسألهما، فقال له اليهودي: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، يشير لقوله تعالى: ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ المائدة:٦٠، وقال له النصراني: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، يريد قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ المائدة: ٦٠، فقال لهما زيد: ما أفرُّ إلا من غضب الله ولعنه، فهل تدلاني على دين ليس فيه هذا؟ فقالا: ما نعلم إلا أن تكون حنيفاً. قال: وما الحنيف ؟ قالا: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً،

---

(١) التفسير الكبير (٩٩/٨).

(٢) نقله عن القاضي عبد الجبار أبو حيان في البحر المحيط (١٨٦/٣).

(٣) ينظر لهذه الأقـــوال في: البحر المحيط (٥١١/٢).

(٤) هو زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، ابن عم عمر بن الخطاب، ووالد سعيد بن زيد، أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم، ترك عبادة الأوثان، ولم يدرك البعثة، وقيل له صحبة. ينظر: البداية والنهاية (٢٣٧/٢)، الإصابة (٦١٣/٢).

(٥) التَّأَلُّـــهُ: التَّنَسُّـــك والتَّعَبُّـــد. ينظر: لسان العرب مادة: (أله) (٤٦٩/١٣).

وكان لا يَعْبُدُ إلا الله وحده. فلم يزل رافعاً يديه إلى السماء وقال: اللَّهم إني / أشهدك أني على دين إبراهيم»[(١)]. [٢٣/ب]

● قوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ٦٨. هذا شهادة من الله لرسوله -عليه السلام- ولأصحابه بأنهم على دين أبيهم إبراهيم -عليه السلام-، بعد أن أخبر أن إبراهيم كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، وأنهم أولى الناس به في ذلك، لأنهم اتبعوا دينه اتباعاً حقيقياً، خلاف كلٍّ من انتحل دينه من اليهود والنصارى والعرب، فإن كلًّا من هؤلاء غيّر وبدّل دين إبراهيم -عليه السلام-، وأما الرسول وأمته فلم يغيروا منه شيئاً، فكانوا أولى الناس كلهم به[(٢)].

واختلفوا في سبب نزولها:-

فعن ابن عباس: «أن سببها قول رؤساء اليهود للنبي ﷺ: والله يا محمد لقد علمتَ أنا أولى الناس بدين إبراهيم منك ومن غيرك، وأنه كان يهودياً، وما بك إلا الحسد، فنزلت»[(٣)].

---

(١) أصل هذا الخبر في صحيح البخاري، في كتاب: مناقب الأنصار، باب: حديث زيد بن عمرو بن نفيل رقم: (٣٨٢٦) ص (٦٦٨)، ورواه الطبري في جامع البيان (٤٨٦/٥)، وما ساقه المصنف فيه اختصار وتصرف، وقوله في آخره (فلم يزل رافعاً يديه إلى السماء..) موافق للفظ الطبري إلا قوله (إلى السماء..) فإنه (إلى الله..)، وأما لفظ الصحيح (فلما برز رفع يديه فقال: ...).

(٢) ينظر: جامع البيان (٤٨٧/٥)، معاني القرآن وإعرابه (٤٢٧/١)، تفسير السمعاني (٣٣٠/١).

(٣) أورده الثعلبي بدون إسناد (٨٨/٣)، وكذلك في أسباب النزول للواحدي ص (١٠٦)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٩٢/١)، وعزاه الحافظ ابن حجر في العجاب لابن عباس (٦٩٠/٢)، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥١١/٢) عن ابن عباس أيضاً.

وقيل: سببها ما جرى بين يدي النجاشي[١] -ملك الحبشة- لجعفر بن أبي طالب[٢] وعمرو بن العاص[٣].

ومن جملة ما جرى أن النجاشي -رضي الله عنه-[٤] قال: «**لا دُهُورة**[٥] **على حزب إبراهيم**»، أي: لا خوف ولا تبعة. فقال عمرو: من حزب إبراهيم؟ فقال النجاشي: هؤلاء الرهط[٦] وصاحبهم، يعني جعفراً ورهطه ويعني رسول الله ﷺ أيضاً،

---

(١) النجاشي: لقب يلقب به ملوك الحبشة، كما يقال لملك الفرس: كسرى، ولملك الروم: قيصر، ونجاشي الحبشة المعني هنا هو: أصحمة بن بحر، وكان ملكًا صالحًا، لبيبًا ذكيًا، وعالمًا عادلا، شهد له الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالإسلام والصلاح، وصلى عليه حين مات، وهو الذي آوى المسلمين في هجرتهم للحبشة وأكرمهم، ودفع عنهم أذى قريش. توفي سنة تسع من الهجرة، وقيل قبل ذلك، ينظر: معرفة الصحابة لابن منده ص (١٩٩)، أسد الغابة لابن الأثير (٢٥٢/١)، السيرة النبوية لابن كثير (٢٩/٢) .

(٢) جعفر بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب الهاشمي، صحابي الجليل، كان أشبه الناس برسوله الله -ﷺ-خَلْقَاً وخُلُقَاً، استشهد في غزوة مؤتة سنة (٨)هـ ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٤/٤)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥١١/٢).

(٣) هو: عمرو بن العاص بن وائل السهمي، الصحابي الجليل، أسلم عام الحديبية، هو الذي فتح مصر وولي إمرتها مرتين، وكانت توفي بها سنة (٤٣) هـ وقيل بعد الخمسين. ينظر: الطبقات الكبرى (١٩١/٤)، أسد الغابة (٢٣٢/٤).

(٤) الأصح أن النجاشي -رحمه الله- تابعياً وليس صحابياً، لأن أصح ما قيل في تعريف الصّحابيّ أنه «من لقي النبيّ -ﷺ- في حياته مسلما ومات على إسلامه. وينظر لتعريف الصحابي مفصلاً في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٨/١).

(٥) قال في لسان العرب (٢٩٤/٤) مادة: (دهر) الدهورة: جمعك الشيء، وقذفك به في مهواة، ودهورت الشيء كذلك، وفي حديث النجاشي: "لا دهورة اليوم على حزب إبراهيم" كأنه أراد: لا ضيعة عليهم، ولا يترك حفظهم وتعهدهم.

(٦) الرَّهطُ جمع ليس له واحد: وهم الرجال دون العشرة، ينظر: مختار الصحاح ص (١٣٠)، ولسان العرب (٣٤٣/٥)، المفردات (رهط) ص (٢١٠).

فقال عمرو: «نحن حزب إبراهيم، فنزلت»[(١)]. وعن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن لكل نبي ولاة من النبيين، وإن وليي منهم أبي وخليل ربي إبراهيم**»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾ الآية[(٢)]. ومعنى الآية: إن أخص الناس به وأقربهم منه، من الوَلْي وهو القرب، قاله الزمخشري[(٣)].

وقال الرماني[(٤)]: إن أحقهم بنصرته، أي: بالمعونة وبالحجة، فمن تبعه في زمانه نصره بمعونته على مخالفيه. ومحمد ﷺ والمؤمنون نصروه بالحجة له أنه كان محقاً سالماً من المطاعن، انتهى[(٥)]. فالمراد بالاتباع سلوك طريقته، والتدين بدينه، سواء عاصره ذلك المتبع أم تأخر عنه، حتى من كان في زمن الفترة التي بين الأنبياء[(٦)].

---

(١) أورده في الكشف والبيان (٨٨/٣) مطولاً، وذكر نحوه الواحدي في أسباب النـــزول ص (١٠٦-١٠٩)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٩٢/١) وقال: هذا قول عبد الرحمن بن عنيم، وأورده الحافظ ابن حجر في العجاب (٦٩١/٢) مختصراً، وقال: قصة عمرو بن العاص وجعفر بن أبي طالب عند النجاشي مروية من طرق متعددة... وليس في شيء منها نزول هذه الآية في هذه القصة.

(٢) رواه سعيد بن منصور في سننه في كتاب التفسير، باب: تفسير سورة آل عمران (٥٠١) (١٠٤٧/٣)، ورواه أحمد في مسنده عن وكيع ص (٣٠٢) رقم: (٣٨٠٠)، والترمذي في جامعه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة آل عمران رقم: ص (٨٣٤)، والطبري في تفسيره (٤٨٧/٥) وصححه أحمد شاكر، وابن المنذر في تفسيره (٢٤٧/١) رقم: (٥٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٧/٢)، والحاكم في مستدركه (٢٩٢/٢) وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه؛ ووافقه الذهبي، والواحدي في أسباب النزول ص (١٠٦).

(٣) الكشاف (٣٩٩/١).

(٤) هو: علي بن عيسى الربعي الرُّمَّـــاني، تقدمت ترجمته ص (١٣٤).

(٥) له كتاب في التفسير "الجامع لعلم القرآن" مفقود ذكره البغوي في معالم التنـــزيل (١٥/١) (١٥/١) وينظر لقوله في: الجامع لأحكام القرآن (٤٧٥/٢)، البحر المحيط (٥١٢/٢).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٢٤٩/٢)، وقال أبو حيان في البحر المحيط: يشمل من اتبعه في زمانه وغير زمانه، فيدخل فيه تابعوه في زمان الفترات، وإلى هذا القول ذهب الرازي في التفسير ==

[أ/٢٤] وقوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ يعني محمد بن عبد الله بن عبد المطلب -صلى الله / عليه وسلم[(١)]- وإنما خصه بالذكر تشريفاً له. ذكراً للخاص بعد العام[(٢)]، كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ﴾ البقرة: ٩٨، لأنه سيد من صدق عليه ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ وقدَّمه على أمته تشريفاً له؛ لأنه الآخذ بحجزهم من النار، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني من أمته[(٣)]، وخصُّوا بالذكر وإن كانوا مندرجين تحت الذين اتبعوه، تشريفاً لهم كما ذكرنا، فحصل لرسول الله ﷺ شرفان؛ شرف بذكره بعد اندراجه، وشرف بالتقديم، فأمة محمد أشرف أتباع الرسل، كما أن رسولهم أفضل الرسل[(٤)]. وقيل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من كل أمة وإن لم يدركوه[(٥)]. ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه تنبيه على أن سبب ولاية الله لعباده إنما هو الإيمان، فلذلك لم يقل: والله وليهم، وإن

==

الكبير (٩٩/٨)، وذهب السمعاني في تفسير القرآن (٣٣٠/١) والبغوي في معالم التنزيل (٥١/٢) إلى أن المعنى: المتبعون له في زمانه، وينظر: جامع البيان (٤٨٧/٥)، الكشاف (٣٧١/١)، المحرر الوجيز (٢٤٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٥/٢).

(١) لم يذكر اسم النبي -ﷺ- وإنما ذكر وصفه تعظيماً له عليه السلام، فلفظ "الرسول" و "النبي" منتهى التكريم، ولهذا نجد القرآن ينادي الأنبياء بأسمائهم: يا إبراهيم، يا نوح، يا موسى، وأما الرسول -ﷺ- فإنما ناداه بوصفه كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ الأحزاب: ٤٥، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ المائدة: ٦٧،وذلك تعليم من الله لعباده الأدب مع هذا الرسول، وتنبيه على أنه سيد الأنبياء والمرسلين. ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٨/١)، معاني القرآن للنحاس بتحقيق الصابوني (٤١٩/١)، البحر المحيط (٥١٢/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان (٤٨٨/٥)، تفسير الراغب (٦٢٣/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٥/٢)، البحر المحيط (٥١٢/٢) ونسبـــه إلى ابن يعيش.

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٠/٢)، التفسير البسيط (٣٣٩/٥).

(٤) ينظر: تفسير الراغب (٦٢٣/١)، الكشاف (٣٩٩/١)، تفسير السمعاني (٣٣٠/١).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن (٢٣٠/٢) بلفظ: كل مؤمن ولي لإبراهيم ممن مضى وممن بقي. وينظر: جامع البيان (٤٨٨/٥)، تفسير الراغب (٦٢٣/١)، المحرر الوجيز (٢٤٩/٢).

تقدموا في الذكر؛ لهذه النكتة. فيجوز أن تكون من باب إيقاع الظاهر موقع المضمر، وأن يكون ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خاصاً بأمة محمد ﷺ، و«المؤمنون» عام فيهم وفي غيرهم. والظاهر في قوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ وما عطف عليه أن يكونا نسقاً على خبر إن، وهو ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾، أي: وإن أولى الناس به أيضاً هذا النبي[(١)]. وجوّز بعضهم أن يكون مبتدأ، والخبر مقدَّر، تقديره: وهذا النبي والذين آمنوا متبعوه، فيكون الوقف على قوله: ﴿ٱتَّبَعُوهُ﴾[(٢)]، وهذا تقدير لا حاجة إليه؛ فالوجه ما قدمناه من كونه عطفاً على خبر إن[(٣)]. و﴿أَوْلَى﴾ أفعل تفضيل من الولي وهو القُرْب كما قدمناه، وألفه منقلبة عن ياء لا عن واو، لأن فاءه واو. قال أبو البقاء: إذ ليس في الكلام ما فاؤه ولامه واوان إلا «واو»، يعني اسم حرف التهجي، كالمتوسط من «قوم»، و«صوم»، أو اسم حرف المعنى كواو العطف[(٤)].

ولأهل التصريف خلاف في عين «واو»، هل هي واوٌ أو ياءٌ، والذي ينبغي: أن تكون ياءً؛ لئلا تتحد الفاء والعين واللام. وقد ذكرنا هذه بدلائلها في كتابنا «إيضاح السبيل إلى شرح التسهيل»[(٥)].

و﴿بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ متعلق بأولى، وحذف المفضّل عليه للدلالة عليه، التقدير: أولى به من غيرهم. والعامة على رفع ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾، وقد تقدم فيه قولان. وحكى الزمخشري فيه قراءتين / أخريين[(٦)]: [٢٤/ب]

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١/١٦٤)، مشكل إعراب القرآن لمكي (١/١٦٢)، المحرر الوجيز (٢/٢٤٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٧٥)، أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٢٢).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١/١٦٤).

(٣) أشار أبو حيان في تفسيره (٢/٥١٢) إلى هذا الوجه قائلاً: ومن أعرب "وهذا النبي والذين آمنوا": مبتدأ، والخبر: هم المتبعون له، فقد تكلف إضماراً لا ضرورة تدعوا إليه.

(٤) الإملاء (١/١٣٩).

(٥) تقدم الحديث عنه ص (٣٧).

(٦) الكشاف (١/٣٩٩)، ونسب ابن خالوية قراءة النصب إلى أبي السمَّال العدوي ولم ينسب ينسب الثانية: الشواذ ص (٢١)، مشكل إعراب القرآن (١/١٦٢).

إحديهما: ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ بالنصب[(١)]، ووجّه ذلك على أن يكون عطفاً على الهاء في ﴿ ٱتَّبَعُوهُ ﴾، أي: اتبعوه واتبعوا هذا النبيَّ، فعلى هذا يكون قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ نسقاً على الذين اتبعوه، الذي هو خبر إن[(٢)]. فيكون ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ متّبَعاً -بفتح الباء- لا متّبِعاً -بكسرها- والتقدير: إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه واتبعوا محمداً، والذين آمنوا أولى الناس به أيضاً.

والثانية: ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ بالجر[(٣)]، ووجَّه ذلك أيضاً بكونه عطفاً على إبراهيم، أي فيكون التقدير: إن أولى [الناس][(٤)] بإبراهيم وبهذا النبي[(٥)].

وفيما قاله نظر من حيث إنه كان ينبغي أن يثني الضمير فيقال: اتبعوهما، إلا أن يقال: هو من باب ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ التوبة: ٦٢، وقول الآخر:

إن شرخ الشباب والشعر الأســـ ـــودَ ما لم يُعاصَ كان جنونا[(٦)]

و﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾ على القراءات المتقدمة إما نعت لاسم الإشارة، أو بدل منه، أو بيان له[(٧)].

---

(١) قراءة شاذة تنسب لأبي السمَّال، ينظر: المختصر لابن خالويه ص (٢١)، شواذ القراءات الكرماني ص (١١٥)، الكشاف (٤٣٦/١).

(٢) الكشاف (٣٦٤/١).

(٣) قراءة شاذة: ينظر: المختصر لابن خالويه ص (٢١)، مشكل إعراب القرآن للقيسي (١٦٢/١)، إعراب القرآن، لابن سيده (٧٤/٣)، الكشاف (٣٩٩/١).

(٤) سقطت في المخطوط، واستدركتها من «الدر المصون» للمصنف (٢٤٣/٣).

(٥) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٨٥/١)، تفسير الراغب (٦٢٣/١)، إعراب القراءات الشواذ للعكبري (٣٢٥/١)، مشكل إعراب القرآن (١٦٢/١) البحر المحيط (٥١٢/٢).

(٦) البيت لحسان بن ثابت -رضي الله عنه-. وهو في: ديوانه ص (٢٤٦). وشرخ الشباب: أي: أوله؛ وأقصى قوته ونضارته وعنفوانه. ينظر: لسان العرب (٢٩/٣) مادة: (شرخ).

(٧) ينظر: مشكل إعراب القرآن (١٦٣/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٥/٢).